الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جـــامـــعـــــــة عبد الحفيظ بوالصوف - ميـــلـة -

معهد : الآداب و اللغات

قســـم : الأدب العـربـي

التخصص : دراسات أدبية

دلالات السخرية والتهكم في رواية صديقي اليهودية .

مذكرة لنيل شهادة : ليسانس

من إعـــداد :

- عـــادل عمـــري
- حسناء بوجعطاط
- رحمة بوبـريدعة

إشراف الأستاذة :

وفاء مـناصـري

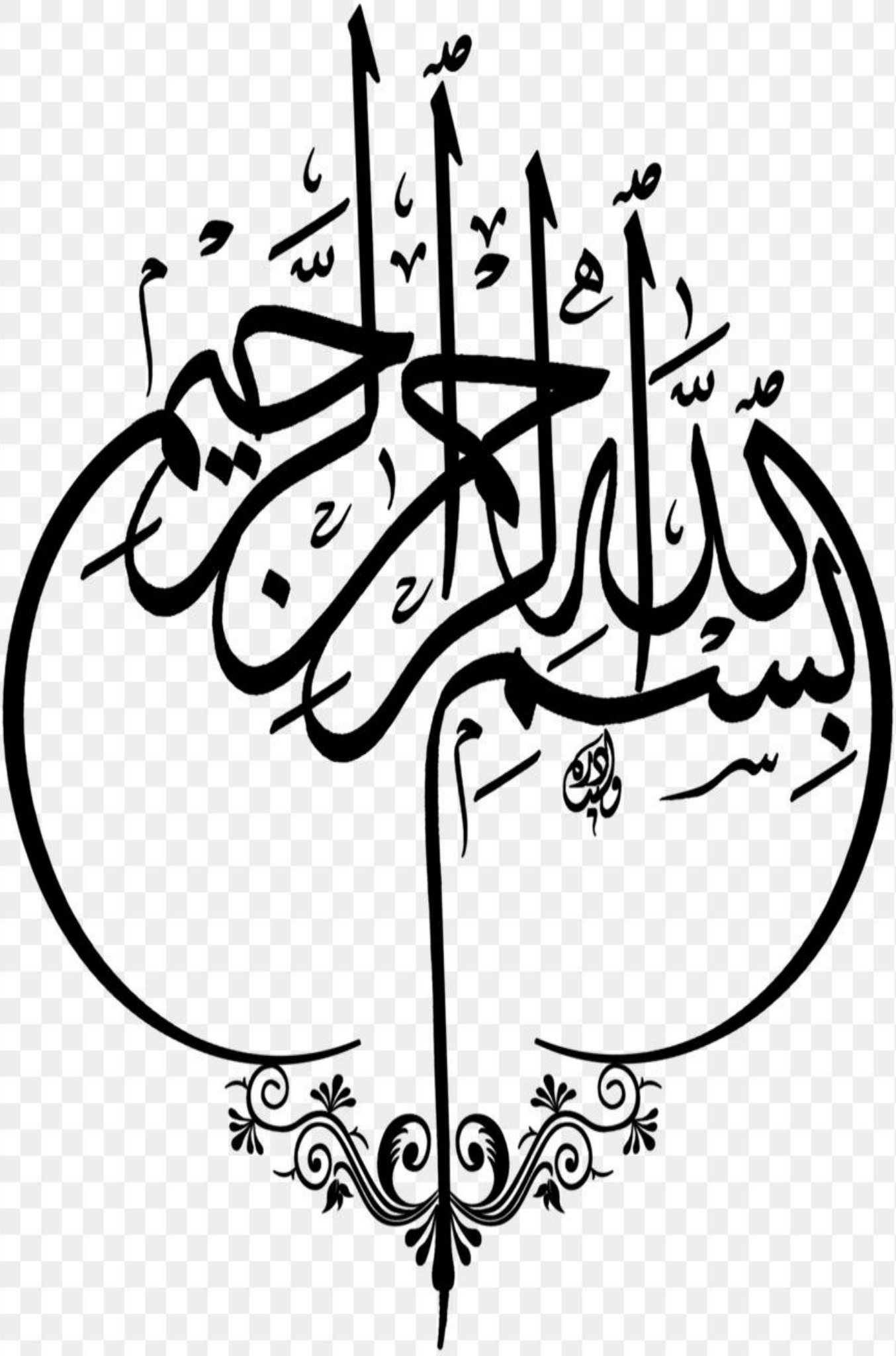
بسم الله الرحمن الرحيم

إهـــداء

حين تلتئم الجراح .. وتختلط الحروف مع العبرات.. يبزغ فجر الأمل

الذي لا يخبو.. وتنشرح الصدور بفيض الإيمان بعلام الغيوب ..

وجميل التوكل على الواحد الذي لا يغيب .

فـالحمد لله الذي وفقنا لإتمام هذا العمل المبارك

والشكر لله على أن سخر لنا من ساعدنا ووجهنا وقومنا .

إلى الوالدين الكريمين اللذان يسعدهما النجاح مهما بلغنا من الكبر

إلى الزوجة الفاضلة وإلى سكر حياتي و مبعثرة أوراقي ابنتي "ليان"

إلى بنت الأخت التي أجادت وأفادت وما توانت في تقديم يد المساعدة

إلى كل الإخوة وأخوات... إلـى كـل الأحبة والأصدقاء الذين كـانـوا

يدفعوني دائما إلى النجاح ...

تـمنياتي لـكم بطول العمر ودوام الصحة والعافية

- دامت نجاحاتنا ونجاحاتكم -

محبكم عادل عمري

إهـــداء

أهدي ثمرة جهدي إلى من وصى بها الرسول ثلاث ، أمي التي

لطالما كانت دافعا قويا يحثني على الدراسة والمضي قدما ..

وإلى أبي سندي وركيزتي في هته الحياة وحصني المنيع .

وإلى جدتي أمي الثانية التي لن أنسى فضلها ما حييت ،أدامكم

الله تاجا على رأسي وألبسكم رداء الصحة والعافية ..

وإلى خالي الأصغر الذي أعتبره أخي الأكبر ..

لك مني فائق الشكر والتقدير .

إلى أختي الكبيرة لطالما كنت دعما وسندا ومرشدا لي حفظك الله وسدد خطاك ،

وإلى كل العائلة من صغيرها إلى كبيرها التي

أعتبرها مصدرا للحب والدعم والقوة .

بوجعطاط حسناء

إهـــداء

قال الله تعالى: { وَلَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ} [إبراهيم الآية7]

أشكر الله تعالى على توفيقه وعونه لي وأحمده على نعمة تيسير الأمور

بعد ما ظننتها ضاقت، فالحمد لله كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه.

•إليك يا من أنشأتني على حب المعرفة وعلمتني صون الأخلاق ..

إليك أمي أطال الله في عمرك أهدي باكورة إنتاجي..

•إلى الذي علمني كيف أواجه الصعاب

وأكون بالله قوية أبي حفظك الله لـــنا..

•إلى سندي وفرحتي في الحياة حبيباتي "رميساء" و"لينة".

•إلى رمز الرجولة والفخر إخواني "هشام" و"موسى"و"أمير".

•إلى صديقاتي العزيزات..

•إلى كل من كان سندا لي ودعمني في مشواري الدراسي..

•إلى أستاذتي الفاضلة "د.وفاء مناصري" اعترافا واحتراما وتقديرا..

•إلى كل من ينبض قلبه بحب اللغة العربية لغة القرآن الكريم..

•إليكم جميعا أهدي ثمرة هذا الجهد.

رحمة بوبريدعة

شكر وعرفان

بعبير الوُد نرسمها .. بسماتٍ ملؤها الودُ.

وإلى الأكرمين نرسلها .. نسمات نبعها الوردُ.

وإن طال الزمان بنا .. وتحقق الحُلم والسَعدُ.

سندلل وطأ أرجلهم .. ويحفظ ودنا العهدُ .

إلى من تقدر العلم وتحترم المتعلمين .. إلى من بثت فينا القوة واليقين .. وسهلت علينا صعاب الباحثين ..

إلى الأستاذة الفاضلة : " وفاء مناصرية "

جزاك الله خير الجزاء .. وأعطاك من فضله خير عطاء .. وأدام عليك الصحة والسعادة والهناء ..

"دمت ذخرا وفخرا للعلم ولنا ولجامعتنا "

المقدمة

الحمد لله الذي فرّق بين عباده في الدرجات والمنازل وجعل العلم نورا وإليه ينتهي مطلب كل سائل ،نحمده على ما منح من الفضائل،فجعلنا خير أمة أخرجت للناس بلسان عربي فاصل والصلاة والسلام على نور الهدى وعلى آله وصحبه أجمعين .

يعتبر الأدب وسيلة تعبيرية يستعملها الإنسان في معالجة مختلف القضايا الاجتماعية والسياسية والعلمية التي هي جزء من حياته ، ويرتبط الأدب باللغة ارتباط الجنين بأمه ، فهي التي يعبر بها عن تلكم القضايا ، وهي التي تحفظ له مضمونها على مختلف الأشكال التي يتمظهر فيها هذا الأخير .

ونحن اليوم بصدد دراسة أحد الأساليب البلاغية الممتعة التي اهتم بها المحدثون والأدباء عبر الزمن ، وهي أسلوب المفارقة أو المراوغة أو كما عرفها "ميوميك" بالتأجيل الأبدي للمعنى المقصود، يستعملها المبدعون كثيرا في التعبير عن أفكارهم ومهاجمة بعض أنماط السلوك البشري ،وذلك عن طريق السخرية والتهكم اللذان تربطهما علاقة سياقية وطيدة مع المفارقة ،و أيضا هما طرفان أساسيان في هذه الدراسة .

فكانت دلالات السخرية والتهكم هي عنوان بحثنا الذي قسمناه إلى فصلين، الفصل الأول تعلق بالجانب النظري فتضمن مفاهيم عامة للمفارقة والسخرية والتهكم والعلاقة التي تجمع بينهم ، أما الفصل الثاني فتناولنا فيه الجانب التطبيقي للمفارقة والسخرية على رواية " صديقتي اليهودية " ، ولقد وقع اختيارنا عل هذه الرواية لثراء محتواها بالأساليب البلاغية التي ذكرناها سابقا ، وللجودة اللغوية والأسلوب الراقي الذي تتمتع به ، وهذا ما مكننا من اكتشاف أهمية العنوان الذي اخترناه للبحث ، وتعرفنا ولو على جزء بسيط من عالم البلاغة البديع .

لقد وجدنا من خلال البحث أننا نعيش في عالم من المفارقات،وعالم من السخرية والتهكم ،

فأردنا أن نسلط الضوء على أهمية هذه المصطلحات التي عرفت تجددا من حيث الاستعمال الأدبي الحديث، ومدى أهميتها في حياتنا اليومية وتوصيفاتها الأدبية ،و فصّلنا بما تيسر من مصادر ومراجع في خصائصها و مختلف أشكالها وأنواعها .

ولتحقيق أهداف هذه الدراسة اتبعنا المنهج التحليلي الوصفي الذي قمنا من خلاله بتحليل نماذج من رواية " صديقتي اليهودية " تخص موضوعنا .

وقد صادفنا الكثير من العوائق في انجاز هذا البحث منها العلمية ومنها النفسية ،واستطعنا بفضل من الله تجاوزها وإتمام البحث.

ولا يسعنا في الأخير إلا أن نتقدم إلى الأستاذة المشرفة د. "وفاء مناصري " بالشكر الجزيل على ما سعت به من جهد في تنويرنا واهتمامها بإتمام هذا البحث .

والشكر موصول لكل من ساهم من قريب أو بعيد ،لكم أجمل التشكرات وأطيب الأماني .

الفصل الأول

- المفارقة والسخرية -

المبحث الأول : مفاهيم عامة للسخرية والتهكم

المطلب الأول : مفهوم عام للسخرية

المطلب الثاني : مفهوم عام للتهكم

المبحث الثاني : أنواع و صور السخرية

المطلب الأول : أنواع السخرية

المطلب الثاني: صور السخرية

المطلب الثالث: أساليب السخرية

المبحث الثالث : المفارقة الساخرة

المطلب الأول : مفهوم المفارقة

المطلب الثاني: أنواع المفارقة

المطلب الثالث: علاقة السخرية بالمفارقة

الفصل الأول : المفارقة والسخرية

المبحث الأول : مفاهيم عامة للسخرية والتهكم

ـ المطلب الأول : مفهوم عام للسخرية

تُعد السخرية فن وميزة من ميزات الأعمال الأدبية منذ العصور القديمة، وهي أسلوب اعتمده الناس عامـة والأدباء خاصة للتعبير عـن آلامهم وآمالهـم بطريقـة هزلية مضحكـة فالإنسان غالبًا ما يلجأ إلى السخرية والفكاهة لوصف ما يريد وعندما يجد في الواقع صعوبة وعجز وقهر، جاء في المعجم المفصل في الأدب فيما يخص السخرية «السخرية نوع من الأسلوب الهازئ الذي لا يُستخدم فيه الأسلوب الجِدّي أو المعنى الواقعي، بعضه أو كله. بأن يتّبع المتكلم طريقة في عرض الحديث بعكس ما يمكن أن يقال. وهو أسلوب شائع بين الناس والأدباء على السواء، وقدموه بشكل ساخر»[1]من خلال هذا القول يمكننا أن نميّز جليًا أنّ السخرية نوع من الأسلوب الهازئ الذي هو عكس الأسلوب الجدّي الواقعي، السخرية أسلوب مُتبع لدى الفلاسفة على سبيل المثال: " سخرية سقراط من محاورات أفلاطون التي تتميز بالتظاهر بالجهل والتظاهر بالغباء، بغية وصوله إلى البرهان على رأيه "[2]وفي ذلك حيلة هي أن يتظاهر المرء بالجهل وهو يعلم، من أجل معرفة الرأي الآخر والوصول إلى الحقيقة.

1- مفهوم السخرية لغة :

قبل أن نلج إلى المعنى الاصطلاحي لكلمة (سخرية) كان من الضروري أن نقف على مدلولها اللغوي حيث نجد:

- جاء في لسان العرب في مادة سخر: "سخر منه وبه سَخْرًا وسَخَرًا ومَسْخَرًا وسُخْرًا بالضم، وسُخْرَةً وسِخْرِيًّا وسخريّا وسُخْرِيّة، هزئ به"[3]ومعناها الاستهزاء.

1 ـ الدكتور محمد التونجي، المعجم المفصل في الأدب، الجزء الأول، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط2، ص 522.
2 ـ المرجع نفسه ص (522-523).
3 ـابن منظور، اعتنى به؛ د. خالد رشيد القاضي، لسان العرب، دار الأبحاث ط1، 2008م ص 189.

- وردت كلمة السخرية في القرءان الكريم: قال الله تعالى:﴿لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ﴾[1][سورة الحجرات الآية 11].

" نزلت الآية الكريمة في وفد تميم حين سخروا من فقراء المسلمين كعمار وصهيب والسخرية: الازدراء والاحتقار" [2]

- وقد عرّفها الفراهيدي في كتابه العين في باب السين "السُّخْرَة الضُّحْكَة، أمّا السُّخْرَة فما تسخرت من خادم بلا أجر ولا ثمن"[3] ومنه ومن خلال هذه الجولة البسيطة بين المعاجم العربية نستنتج أن السخرية لها معاني مختلفة فهي الاستهزاء وهي الاحتقار والضحك على الآخرين والتقليل من الشأن وهي أقرب إلى التحقير.

2- مفهوم السخرية اصطلاحا:

سبق وأن تطرقنا إلى المفهوم اللغوي لمصطلح "السخرية" وها نحن نقف عند المعنى الاصطلاحي لها، السخرية في المدلول الاصطلاحي لها عدة مفاهيم وقد يصعب علينا تحديد تعريف جامع لها والسبب راجع إلى حيوية المصطلح، وكونه كفن متطور قابل للتجديد والتغيير، فالسخرية هو ذلك النوع من التأليف الأدبي أو الخطاب الثقافي، الذي يقوم على أساس الانتقاد للرذائل والحماقات والنقائص الإنسانية الفردية منها والجمعية، فالساخر يرصد ويراقب ما يجري من أخطاء، و يستخدم وسائل وأساليب خاصة في التهكم عليها، أو التقليل من قدرها أو جعلها مثيرة للضحك" [4]أي أن الإنسان الساخر يحرص على أن يتابع تصرفات وحركات غيره الخاطئة ويقوم بتوجيه كلام غير لائق وجارح وساخر لذلك الشخص بنية الاستهزاء به والتقليل من شأنه فقد عرّفتها – سها عبد الستار السطوحي –بأن "السخرية طريقة في التهكم المرير اللاذع أو الهجاء الذي يبدو المعنى فيه بخلاف ما يظنه الإنسان، وربما كانت السخرية أكثر

([1]) آيات قرآنية من المصحف الشريف، سورة الحجرات، الآية 11.

([2]) الإمامين الجليلين، تفسير الجلالين، دار السلام للنشر والتوزيع (الرياض) شركة ابن باديس للكتاب، ط1، 2009م ص526.

([3]) الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، ترتيب وتحقيق د. عبد الحميد هنراوي دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، جزء 2، ص226.

([4]) نزار عبد الله خليل الضمور، السخرية والفكاهة في النثر العباسي، دار وكتبة حامد للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2012 ص 16.

الصور البلاغية عنفا وفتكا"[1] فالسخرية صورة من صور البلاغة، فقد يذكر لفظ ويقصد بذلك معنى آخر.

كما ظهر لفظ السخرية في القرءان الكريم في عدة مواضع منها:

قال الله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾[2][سورة التوبة الآية 65]، تتحدث هذه الآية الكريمة عن استهزاء الكفار بالله عز وجل وبآياته وبرسوله الكريم ﷺ، وقال أيضا:

﴿وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾[3]

[سورة الأنعام الآية 10]، والمقصود بالآية الكريمة كما جاء في كتاب تفسير الجلالين عند قوله تعالى: " وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ " فيها سلية للرسول ﷺ[4] أي فيه تبشير من الله بأنه سيعذبهم سوء العذاب على استهزائهم بالرسول الكريم.

ـ المطلب الثاني :مفهوم عام للتهكم

هو تلك الأداة التي يمكن لكل شخص استعمالها كل حسب طريقته، فقد يستعملها الفلاسفة والأدباء للاستهزاء من مواضيع معينة، كما أن الساسة والشعوب يمكنهم استعمالها والتكلم بها والتعبير بها ربما عن آلامهم مثلاً أو حزنهم بطريقة مضحكة وبأسلوب استهزائي تحقيريوبذلك يكون قد جمع بين النقائض، وفي هذا إخفاء للحقيقة وللشعور والمعنى الحقيقي وفي ذلك نوع من الكذب " لذلك يجوز لنا القول بأن التهكم شكل من أشكال الكذب إنه الكذب الذي لا يرمي إلى الخداع دائما، على الرغم من أنه يرمي غالبا على الخداع"[5] فالمتهكم في كلامه وتعبيره هو يخفي الحقيقة ويرمي بتعابير مضللة نوعا ما، لا يمكن أن تفهم معناها مباشرة وتحس كأن في كلامه شيء من الغموض والإخفاء للمعنى الحقيقي، إن للتهكم أنواع مختلفة "هناك تهكم سمج

1- سها عبد الستار السطوحي، السخرية في الأدب العربي "عبد العزيز البشرى نموذجا"، الهيئة المصرية العامة للكتب، 2007 ص 50.
2- آيات قرآنية من المصحف الشريف، سورة التوبة، الآية 65.
3- سورة الأنعام، الآية 10.
4 ـ الإمامين الجليلين، تفسير الجلالين، دار السلام للنشر والتوزيع (الرياض) شركة ابن باديس للكتاب، ط1، 2009 ص138.

(5) د. عزت السيد أحمد، التهكم وفن الإضحاك عند الجاحظ، العالم العربي للنشر، عمان، ط1، 2018، ص90.

ثقيل منحط، وتهكم مجنح رهيف، وهناك تهكم شريروتهكم مزدر أو عطوف، هناك تهكم ساذج وتهكم عليم، هناك تهكم عدو للإنسانية وتهكم محبها... ومهما تفاوتت أنواع التهكم فإنها تصدر عن طبيعة من يستخدمها وتتأثر بظروف حياته فكل انسان يذود عن نفسه كيفما يستطيع" [1] أي أن التهكم يختلف من متهكم إلى آخر وذلك راجع إلى شخصية المتهكم ونفسيته.

1- مفهوم التهكم لغة:

مما لابد منه وقبل أن نلج إلى المعنى الاصطلاحي للكلمة يجب التوقف أولا عند المعنى اللغوي فنجد في معنى التهكم ما يلي:

- ورد في قاموس المحيط معنى التهكم بمعنى " التّهدم في البئر ونحوها، والاستهزاء كالأهكومة، والطعن المتدارك، والتبختر والغضب الشديد والتندم على الأمر الفائت والمطر الكثير الذي لا يطاق، والتغني هكمته تهكيما: عنيت له، المستهكم المتكبر" [2]ومنه ومن خلال هذا المفهوم اللغوي نستنتج أن التهكم هو ذلك الذي يتعرض للناس بكل ما يملك من وقاحة وتكبر وغضب.
- جاء في لسان العرب هكم " الهكمُ: المقتحم على مال يعنيه، الذي يتعرض للناس بشره وأنشد: تَهَكَّمَ حربُ على جارنا، وألقى عليه له كلكلا وقد تهكم على الأمر وتهكم بنا: زرى علينا وعبث بنا وتهكم له و هكمه: غناه والتهكم: التكبر"[3] من خلال هذا نستنتج أن التهكم هو التكبر والتقليل من شأن الآخرين والتعرض للغير بسيء الأعمال.
- "(هَكَّمَ) فلانا غناه وترنّم له. (تهكم) فلان:تغنى وترنم. ويقال تهكّم لفلان: ترنّم وحدث نفسه وتكبر وعلىغيره: اشتد غضبه وحمقه ووقع فيه وتبختر بطرًا وعلى ما فرط منه: تندم والسماء أمطرت مطرًا كثيرًا لا يطاق، والبئر ونحوها تهدمت وفلانا وبه: استهزأ بـه واستخف وفلانـا: هكه بالسيف (استهكم): استكبر، (الأهكومة): الاستهزاء(الهكم) الشرير المقتحم على ما لا يعنيه ".[4]

([1]) د. عزت السيد أحمد، التهكم وفن الإضحاك عند الجاحظ، العالم العربي للنشر، عمان، ط1، 2018، ص90.
([2]) مجد الدين بن يعقوب الفيروزي أبادي الشيرازي، القاموس المحيط المطبعة الأميرية، ط3، (فصل الهاء) (باب الميم) 1301، ص188.
([3]) ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، كورنيش النيل، مج 51 (باب الهاء) ص4671.
([4]) مكتبة نور، المعجم الوسيط، (باب الهاء) ص990.

ومنه ومن خلال هذه الجولة البسيطة في المعاجم اتضح لنا أن دوران كلمة التهكم في جميع معانيها يرجع إلى التعريض للناس بالشر وكل ما يملك المتهكم من غضب ووقاحة وتكبر.

2- مفهوم التهكم اصطلاحا :

أما التهكم في الاصطلاح هو بمثابة الوعد في مكان الوعيد، أو المدح في مكان الاستهزاء فهو نوع من أنواع التضاد فأساسه أن يقول المرء عكس ما يود قوله صراحة كما جاء في كتاب السخرية في الأدب العربي "التهكم فيبدو فيه استخدام الأساليب البلاغية المعروفة كالمدح بما يشبه الذم والتورية والتعريض والكناية وغير ذلك من الأساليب البلاغية المعروفة" [1]، وقد وردت كذلك في القرءان الكريم قوله تعالى ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾[2][سورة النساء الآية 138] أصل البشارة هو الخبر السار المفرح ولكن المقصود بها في هذه الآية الكريمة هو الإنذار بسوء العذاب. ومنه نستنتج أن التهكم هو العبث بالمتهكم به، والذي من الضروري أن يكون إنسان فلا يصح أن يكون جماد أو حيوان، ويكون التهكم في وجهين إمّا " إرسال القول على غير وجهه كأن تقول قولاً وأنت تقصد ضدهُ ومن ذلك قولك "عظيم!!" وأنت تقصد "ما أسوء ذلك" أو أن تقول "خير ما فعلت" ومرماك "أسوء ما فعلت" [3]والمقصود من هذا التهكم هو أن تقول شيء وتقصد شيء آخر هذا من جهة، ومن جهة أخرى فالتهكم "يقوم على المبالغة المقصودة في الوصف أو التقرير إلى حد الطرافة والشذوذ، وقد يكون وصف أشكال وأفعال"[4] وهنا يكون في الوصف شيء من المبالغة سواء بالزيادة أو بالنقصان وهذا ذاته عبث فالمعروف

([1]) سها عبد الستار السطوحي، السخرية في الأدب العربي "عبد العزيز البشرى نموذجا"، الهيئة المصرية العامة للكتب 2007، ص52.

([2]) آيات من القرءان الكريم، سورة النساء، الآية 138.

([3]) الدكتور عزت السيد احمد، التهكم وفن الضحك عند الجاحظ، العالم العربي للنشر، عمان، ط1، 2018، ص89

([4]) المرجع نفسه ص 89.

أن الوصف هو الكلام عن الموصوف كما هو لا زيادة ولا نقصان. وأخيرًا وكاستنتاج بسيط فإن التهكم هو العبث إضافة إلى كونه تحقير وتكبر وغضب.

المبحث الثاني : أنواع وصورالسخرية

المطلب الأول :أنواع السخرية .

تحمل السخرية في طياتها وثناياها عدة أنواع اختلف الباحثون والدارسون في تسميتها وتصنيفها نذكر منها ما تم ذكره في كتاب "السخرية في الأدب العربي لسهى عبد الستار " ونصنفها كالآتي :

1- **المزاح أو الهزل :** فهو وسيلة العامة في سخرياتهم وضحكهم ، وهو لا يحتاج إلى ذكاء فالشعب في ضحكه ولهوه مع الأشخاص يعتمد على السذاجة والصراحة والفكاهات المكشوفة التي لا تحتاج إلى ذكاء وفطنة المثقفين.[1]"

وهذا النوع غرضه الأساسي هو خلق جو مرح الأشخاص و يتداوله العامة من الناس بطبع البشر يحبون المزاح والهزل ويعتمد على البساطة والسذاجة والصراحة والتي تكون لا علاقة لها باستهلاك وحدات العقل ومن الأمثلة على هذا النوع الساذج من أنواع السخرية المجلات الهزلية التي صدرت في أواخر القرن الماضي وأوائل القرن الحالي وكانت تخاطب الشعب عن طريق الأدب الساخر مثل : مجلات "أبو نظارة" و "المسامير" و "حمارة منيتي" و "الكشكول" وغير ذلك من المجلات الفكاهية التي كانت موجودة في تلك الفترة .[2]"

1- سهى عبد الستار السطوحي– السخرية في الأدب العربي الحديث – عبد العزيز البشرى نموذجا – الهيئة المصرية العامة للكتب 2007 ص51.

2- المرجع نفسه ص52.

2- الفكاهة و التندر :

فالغرض الأساسي منه ليس الإضحاك كما في النوع السابق والأديب الذي يستخدم هذا النوع ينتقد الناس والمجتمع ولكن في شيء من الحياء والتحفظ وتكون لديه القدرة على كشف النفس البشرية ، وهذا النوع لا يقوم على الغموض والإبهام وإنما يقوم على مهارة الأدب وذكائه وحضور بديهته."[1]

وهذا النوع يختلف عن الأول بحيث لا يستعمل بغرض المزاح والضحك فقط بل يجمع بين غرضين في الوقت نفسه : يقوم مثلا بنقد مجموعة من الشخوص أو مجتمع أو فعل معين مع محاولة الإصلاح أوما يسمى بالنقد البناء ومن جهة أخرى يحاول إضحاك الناس وتسليتهم.

3 - اللذع والتهكم :

"يبدو فيه استخدام الأساليب البلاغية المعروفة كالمدح بما يشابه الدم والتورية والتعريض والكناية وغير ذلك من الأساليب البلاغية المعروفة ."[2] وهذا النوع يختلف تماما عن سابقيه بحيث لا يهدف إلى المزاح أو الضحك ولا النقد البناء حتى ، وإنما يعمد إلى التهكم واللذع بالكلام والهجاء ويكثر هذا اللون في الصراعات السياسية والفكرية ، بحيث ما ان اختلفا حول قضية ما أو موضوع أو رأي فإنهما يوجهان أقلام بعضهما كل ناحية الآخر بكتابات تهكمية هجائية لاذعة.

1- المرجع السابق ص52.
2- المرجع نفسه الصفحة نفسها.

المطلب الثاني : صور السخرية

بعد إتمامنا لذكر أنواع السخرية نعرج الآن إلى صور السخرية وسنحاول فيها أن نسوق لكم أهم الصور المختلفة في تسمياتها ومعانيها التي تم ذكرها في" كتاب السخرية في الأدب العربي لنعمان محمد أمين طه ".

"فأول صورة لسخرية وأقدمها في تاريخ البشرية وأكثرها انتشارا بين العامة هي:

1- السخرية بالمحاكاة: في الكلام والمشي والحركات الجسمية وأنواع السلوك المختلفة، أي في سمات بارزة تميز شخصية من الشخصيات التي يمتاز بها كاتب من الكتاب أو خطيب من الخطاب أو شاعر من الشعراء في قصيدة ما من قصائده كما فعل حافظ ابراهيم مع رضا شوقي في قصيدته المشهورة «عن أي ثغر تبتسم» وهذا النوع من تقليد القصائد وإحالة الجاد منها بمعانيها إلى هزلي أو مضحك منتشر في الآداب الأوروبية أكثر من انتشاره في الأدب العربي "[1].

وهذا الأسلوب من السخرية يكون تقليدا قد يكون في طريقة الكلام أو المشي أو في حركات جسمية معينة ولكن بطريقة هزلية عبثية ساخرة وتستهدف صفة بارزة تميز شخصية من الشخصيات أو قد تكون حتى في القصائد والكتابات الأدبية .

2 -المناداة بالألقاب: فهي من أقدم الصور الساذجة في السخرية وتستعمل فيها أسماء الحيوانات كألقاب كقولهم لسمين يا درفيل، ثم استعمال هذا اللقب فيما بعد اسما يطلق على هذه الشخصية وتعرف به، وكذلك استعمال الصفات المعكوسة وهي عكس ما يتصف به الشخص حقيقة كألقاب ثم أسماء تتكرر كثيرا في صور منوعة ومناسبات مختلفة حتى يلتصق هذا الاسم بهذه الشخصية."[2]

وهذا الأسلوب الساخر يهدف إلى المساس بشخصية الإنسان ومشاعره وكرامته ، بحيث يتم إلصاق اسم حيوان لشخص ويصبح اسما ثانيا له ملاصقا لاسمه الحقيقي بل ويصبح مستعملا ومتداولا بين الأشخاص أكثر من اسمه الحقيقي ، وكذلك مناداة شخص بصفة عكس الصفة الظاهرة عليه كان يقال لشخص بشع يا قمر أو شخص قصير يا طويل وغير ذلك كثير ، وهذا الأسلوب غالبا ما يكون غير مرغوب فيه عند أغلبية الناس كونه يسيء لشخصية الإنسان ومشاعره.

1- نعمان محمد امين طه – السخرية في الادب العربي حتى نهاية القرن الرابع للهجري – دار التوفيق لطباعة بالازهر 1978 ،ط1 ص37.
2- المرجع السابق ص38.

ومن أقدم طرق السخرية وأكثرها شيوعا واستعمالا :

3- السخرية بالصوة: ويكون بتلوينه ورفعه وخفضه وإعطائه نبرات خاصة ومعروفة يفهمها السامع غالبا ويعرف صفاتها التي لا يمكن أن ينقلها القلم إلى السطر ، وكذلك السخرية بانفراج أسارير الوجه وتحريك عضلاته ، أو بهز الرأس أو الكتفين أو بالغمز بالعين ...."[1]

هذا الأسلوب من السخرية يعتمد فيه الشخص على الصوت في سخريته ونضرب مثالا على ذلك : قد يكفي لسخرية بالشخص ان تنظر إليه صامتا ثم تأخد في إدامة النظر إليه وأنت تبتسم ابتسامة ساخرة ، أو تضحك ضحكة سخرية ، واعتقد ان هذا النوع أقدم أنواع السخرية ، لكن لا يمكن إثبات ذلك نظرا لأنه لا يسجل على الورق كتابة أو على الحجر نقشا.[2]"

4 - ٌمعالجة الحقير كأنه عظيم: أو ما يسمى في الأدب العربي «الدم بما يشبه المدح» ويدخل فيه أيضا «تجاهل المعارف» وكل ذلك وغيره يتسق وينتظم في عبارة طويلة لا تستمد تأثيرها من ألفاظها لفظة لفظة على حدا بل من العبارة برمتها. [3]"وهذا الأسلوب يأكد الدم بما يشبه المدح ونأخد مثالا على ذلك " بمخاطبة عالم يستهزئ بجاهل قائلا قل لي يا سيدي الاستناد ، أو اخبرني أيها العالم الجليل ؛ أو مخاطبة القبيح قائلا القمر يغار منك.[4]"

5 - ٌمعالجة الشيء العظيم كأنه حقير: ويمكن أن يكون طريقة من طرق الاستهزاء ، كما شبه "يتلر" أماكن العبادة المسيحية ساخرا بمصرف يذهب إليه الناس ليدفعوا شيئا و يأخدوا شيئا.[5]" وهذا الأسلوب يعمد إلى التقليل والتصغير بالشخص أو مكانته.

6 - ٌتجاهل العارف أو التباله: وهي الطريقة المشهورة التي أثرت عن سقراط.[1]تأخد مثالا على ذلك : كأن يسأل الأب ابنه الراسب في الامتحان - وهو يعلم برسوبه – انجحت في الامتحان ؟ وفي هذا النوع يتظاهر الساخر بعدم معرفته لجواب السؤال الذي يطرحه .

1- المرجع نفسه – الصفحة نفسها.
2- المرجع نفسه – الصفحة نفسها.
3- المرجع السابق - ص38.
4- المرجع نفسه – ص38-39.
5- المرجع نفسه – ص 39.

7 –التعريض :

فهو من أشهر أنواع السخرية في الأدب العربي،وجمع الثعالبي في كتابه **«الكناية والتعريض»**طائفة من الأمثلة ، كذلك الذي دار بين معاوية بن أبي سفيان والأحنف بن قيس إذ سأل الأول الثاني قائلا :ما الشيء الملفق في البيجاد؟ فقال الأحنف:هو السخينة يا أمير المؤمنين!! وقد أراد معاوية قول الشاعر :

إذا ما مات ميت من تميم قسرك ان تعيش فجئ بزاد

بخبز أو بتمر أو بسمن أو الشيء الملفق في البجاد

وأراد الأحنف بقوله : السخينة ، أن قريش يأكلونها ويعيرون بها وهي أغلظ من الحساء وأرق من العصيدة ،وإنما نأكل في كلب الزمان ، وشدة الدهر ، وقد سموا قريشا **سخينة** تعبيرا لهم بذلك.[2]"

وفي هذا الأسلوب من السخرية يكون فيه الكلام لا يقصد به معناه الحقيقي بالضبط وإنما يقصد معنى آخر مغاير للمعنى الحقيقي أو الأصلي .

8 –التصوير المبالغ فيه (الكاريكاتوري)وهو وضع الشخص في صورة مضحكة كالمبالغة في تصوير عضو من أعضاء الجسم ومحاولة تشويهه إلى حد ما ، بحيث يجعل الشخص لا يدرك أو يعرف إلا بهذا العيب الذي جسده وكبره ومن ذلك ضخامة الجسم أو نحافته وقصر القامة أو طولها المفرط.[3]" وهذا الأسلوب يعمد إلى وضع الشخص المسخور منه في صورة مضحكة وهزلية معيبا على شكل جسده أو عضو من أعضاء جسمه ، نسوق مثالا على ذلك قول الشاعر ابن الرومي وهو يدم شخص اسمه عمر ويقول له

وجهك يا عمر وفيه طول وفي وجوه الكلاب طولا

فأين منك الحياء قل لي يا كلب والكلب لا يقول .[4]"

وفي هذان البيتان صور ابن الرومي طول أنف عمر بأنف الكلب وهو تصوير هزلي مبالغ فيه .

1- المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.
2- المرجع السابق ، ص39 ، 40.
3- المرجع نفسه ، ص41.
4- ابن الرومي ، ديوانه ، شرح احمد حسن يسبح ،دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ،ج3 ، ط1 ، 1994 ،ص139.

المطلب الثالث :أساليب السخرية

حاولنا فيما مضى التعرف على السخرية وفهمها كما حاولنا التعرف على أنواعها وصورها ونعرج بالذكر الآن إلى بعض أساليب السخرية البارزة الاستخدام نذكر منها ما تناوله كتاب السخرية في الأدب العربي لسهى عبد الستار :

1 – اللعب بالمعاني :وهو نوع من الفكاهة والسخرية ، أساسه التلاعب بالمعاني عن قصد وقد يتخذ صورة التلاعب بالمعنى عن غير قصد ، وهو أنواع عدة ، منها : الكناية والتورية ، والتعريض ، والإجابة بغير المطلوب.[1]"

وهذا النوع يعتمد على المراوغة في الكلام والمعنى الحقيقي ويكون مقصودا فلا تعرف من خلال كلامه المعنى الحقيقي و المرجو .

أ - الكناية :وهي التعبير بجملة أو جمل يراد بها معنى آخر مرتبط بالمعنى الأصلي ومن أمثلتها أن رجلا قدم من فارس على صاحب له فسأله صاحبه : قد كنت عند الأمير فأي شيء ولاك ؟ قال له :ولاني قفاه.[2]"

ب - التورية :وهي أن يبرز بالكلمة عن فكرتين منفصلتين :إحداهما قريبة من الذهن وهي المقصودة .[3]" نضرب مثالا عن التورية ،أن أعرابيا وقف على قومه يسألهم فقال للأول: ما

1- سهى عبد الستار ،السخرية في الأدب العربي الحديث، ص58.
2- المرجع السابق ،ص60.
3- المرجع نفسه ،الصفحة نفسها.

اسمك؟ قال : مانع ، وقال لثاني ما اسمك؟ قال :محرز ، وقال لثالث : ما اسمك؟ قال : حافظ ، قال قبحكم الله ما أظن الأقفال إلا من أسمائكم .[1]"

جـ - التعريض : وهو الكلام الذي لا يقصد به المتكلم معناه وإنما يقصد معنى آخر ولا يوجد بين المعنيين تلازم ، وهذا ما يخالف فيه التعريض الكناية ، إذ بين المعنيين في الكتابة ارتباطا، في حين أن جملة التعريض ليس لها إلا معنى واحد يفهم السامع المقصود من ورائه وتختلف في هذا عن التورية التي يوجد فيها معنيان :معنى قريب يخدع ويبعد المتلقي عن المعنى البعيد وهو المقصود.[2]"

د - الإجابة بغير المطلوب : ومن اللعب بالمعاني أن يسأل الشخص عن شيء ليجيب إجابة أخرى لا يقتديها السؤال أولا يريدها السائل ومن هذا التناقض بين السؤال والجواب الذي نطق به يكون منشأ الضحك.[3]"

2- **اللعب بالألفاظ :** ومعناه إن يعكس السامع اللفظ الذي سمعه إلى معنى الآخر معتمدا على الاشتراك المعنوي في اللفظ الواحد ، أو على الجناس أو الطباق بين اللفظ الذي سمعه واللفظ الذي ينطق به.[4]"

1- المرجع نفسه – ص60.
2- المرجع نفسه – ص61.
3- المرجع نفسه – ص63.
4- المرجع السابق – ص64.

وهذا النوع يعتمد على التلاعب في التلاعب في الكلمات والألفاظ بحيث عندما يسمع الشخص لفظة معينة فإنه يقوم بتغيير ما سمعه إلى معنى آخر ويبقى على الاشتراك المعنوي في اللفظ الواحد وهي من مهارات استخدام اللغة ، ومن الأمثلة على هذا التلاعب بالألفاظ:

"ما دار بين معاوية بن أبي سفيان وشريك بن الأعور ، وكان دميما ، فقال له معاوية :إنك الدميم ، والجميل خير من الدميم ، وإنك لشريك وما الله من شريك ، وإن أبا كلأعور، والصحيح خير من الأعور ، فكيف سدت قومك ؟ فقال لمعاوية :إنك معاوية وما معاوية إلا كلبة قد عوت فاستعوت الكلاب وإنك لابن صخر ، والسهل خير من الصخر ، وإنك لابن حرب ، والسلام خير من الحرب ، وإنك لابن أمية، وما أمية إلا أمة صغرت ، فكيف صرت أمير المأمنين.[1]" ومن خلال هذا المثال نلاحظ تلاعب كبير بالكلمات والمعاني بطريقة ساخرة ولاذعة بحيث قام معاوية بنسج كلام مطابق لكلام أبي سفيان وبنفس سخريته وهذا النوع إن ما دل على شيء فإنما يدل على قوة بديهة المتكلم وفطنته .

1- المرجع السابق – الصفحة نفسها.

المبحث الثالث : المفارقة الساخرة

لقد لعب المصطلح النقدي دورا هاما في الفعل المعرفي ،إذ لابد من فهم المعنى الاصطلاحي لكل ما نريد دراسته أو الحكم عليه حتى يتجلى ويتسنى لنا التدقيق في جذور المصطلح لا في قشوره .

ولعل من أهم المصطلحات النقدية الحديثة التي أصبحت متداولة بشكل كبير هي مصطلح المفارقة ،هذه الكلمة التي ترسم في ذهن الناطق بها علامة تعجب واستفهام لما تحمله من دلالات متضادة بين اللفظ والمعنى .

" ومن الطبيعي أن نسأل عن الدور الذي تلعبه المفارقة في الحياة العادية ، بما في ذلك ما يتفرع عنها من سخرية ، ومداعبة ،وتهكم ، وتلميح ،ويكون من الطريف جدا معرفة ما يترتب على غياب تلك الظواهر أو حضورها أو التشعب فيها ."

" وبعبارة أخرى لا تقتصر المفارقة على اتخاذ أشكال شتى ،بل إنها من حيث المفهوم في حالة تطور مستمر ، فقد كانت المفارقة قديما لا تزيد عن كونها صيغة بلاغية ، لكن المفارقة اليوم تعني أشياء كثيرة ومفهوما واسعا يعد الجوهر والصفة المميزة في أدب الخيال." [1]

فتكون بذلك المفارقة قد حققت غرضها البلاغي الظاهر والخفي، من خلال تنوع حضورها ومفهومها .

[1] ـ دي سي ميوميك،موسوعة المصطلح النقدي، المفارقة وصفاتها، تر،عبد الواحد لؤلؤة ،المؤسسة العربية لدراسات والنشر، بيروت، مج 4،ط1، 1993، ص10 .

المطلب الأول :مفهوم المفارقة

لقد انتشر مصطلح المفارقة واتسع استعماله،واختلفت مفاهيمه من باحث لآخر، لقوة أثره ودلالته البلاغية والأسلوبية ،ونقف الآن مع بعض تعاريفه المعجمية والاصطلاحية حتى نتذوق فيها جماليات هذا المصطلح المتضاد في معناه والمتآلف في مبناه .

أ / المـــفـــــارقة لغة :

المفارقة من المصطلحات التي يشوبها الكثير من اللبس والغموض ، حيث يختلف النقاد والباحثون حول ترجمتها ونقلها إلى العربية وبالتالي

فَارقَ الشيء مُفارقةً وفِراقًا ،باينه والاسم الفُرقَة وتَفارقَ القوم فَارقَ بعضهم بعضًا وفَارقَ فلان امرأته مُفارَقةً وفِراقًا باينها ، والفِرَقُ والفِرقَةُ و الفَريقُ الطائفة من الشيء المُتَفَرِق ، والفِرقَةُ طائفة من الناس والفَريقُ أكثر منه .[1]

ب / المفارقة اصطلاحا :

تبلورت المفاهيم الاصطلاحية للمفارقة وتمايزت، وقد وجد الباحثون صعوبة معتبرة في حصر تعريفها فقالوا أن "المفارقة أسلوب بلاغي يقوم على التضاد ، يبرز فيه المعنى الخفي في تضاد ملموس مع المعنى الظاهري ،معتمدا على المفارقة اللفظية أو مفارقة الموقف أو السياق ، وهو أمر يحتاج إلى مجهود لغوي ، وكذا ذهني ، وتأمل عميق للوصول إلى التعارض ، وكشف دلالاته بين المعنى الظاهر والمعنى الخفي الذي يتضمنه النص وفضاءاته البعيدة ."[2] فيجب أن تتوفر شروط ومهارات فكرية ولغوية عالية الدقة حتى يتحقق الغرض من المفارقة في تقوية النص .

1- ابن منظور ، لسان العرب ،تح،عبد الله علي الكبير،دار المعارف، القاهرة ،ج5،ص3398.

2 ـ نعمان عبد السميع متولي : المفارقة اللغوية في الدراسات الغربية والتراث العربي القديم ، دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع ، ط1 ، دسوق ، 2014 ،ص 14 .

"وتعد المفارقة من زاوية المعجمية التاريخية ،عاملا من عوامل التطور الدلالي للغة ، من حيث أن اللفظ يكتسب معها معنى جديد وهو من معناه القديم بمنزلة النقيض ، دلك حين يكون الخطاب للتهكم ونحوه ."[1]

كما تعتبر" المفارقة irony صيغة من التعبير، تفرض على المخاطب ازدواجية الاستماع double audience ."[2] بمعنى أن يفهم المخاطب أن الكلام الموجه له يُعبر عن عدة مقاصد ومعاني وليس المعنى المنطوق فقط .

كما يعرف دي سي ميويك المفارقة عل أنها " طريقة في الكتابة تريد أن تترك السؤال قائما عن المعنى الحرفي المقصود، فثمة تأجيل أبدي للمغزى . فاتعريف القديم للمفارقة الدي مفاده أنها قول الشيء والإيحاء بقول نقيضه قد تجاوزته مفهومات أخرى ، فالمفارقة قول شيء بطريقة تستثير لا تفسيرا واحدا بل سلسلة لا تنتهي من التفسيرات ."[3] ومن هذا يتضح مفهوم آخر للمفارقة يؤكد أن فهم القول الذي فيه "مفارقة " يختلف من شخص لآخر حسب قدرة استيعابه ونباهته ، كما يستطيع أن يفسر القول إلى عدة مقاصد ترجع إلى العلاقة التي تجمع المتحدث مع السامع ، أو قد تكون حكمة عامة أنجبتها تجارب الحياة .

1- محمد العبد: المفارقة القرآنية، دراسة في بنية الدلالة، مكتبة الآداب، القاهرة، ط 2 ، 2006 ،ص8.

2- المرجع نفسه ، ص15.

3- دي سي ميوميك ، المفارقة وصفاتها،تر، عبد الواحد لؤلؤة ،ص 42.

و يـرى ـ آوكـست قـيلهـلم ـ أن المفــارقة " تـوازن بين الجـد والهـزل أو التصور والـمألـوف . والمـفـارقـة نـوع من الاعتراف المتغـلغل فـي التمثيل نفسه، يزيد وينقص في وضوح التعبير ، ينم عن كون التمثيل ذلك مثقلا بجانب واحد من جوانب التصور والشعور ، فتعيد المفارقة التوازن إلى سابق عهده."[1] فالمفارقة ليست بالجد الواضح ولا بالهزل الفاضح ، بل هي موازنة بين كليهما، وتفاوت في الغموض والوضوح حسب ما يتطلبه الموقف .

و "تعمد عبر نسقها الضدي المشفر إلى صدمة المتلقي ، واستهدافه بوصفه ضحية؛ ذلك لأن المفارقة لا تستكمل هيئتها الكلية ما لم تجعل من قارئها ضحية حقيقية."[2] لتخلق من خلالها علاقة الغرابة التي تحرك حواس القارئ ، وتزيد في إبداع الكاتب أو المتحدث .

1- دي سي ميوميك ، المفارقة وصفاتها، تر، عبد الواحد لؤلؤة ،ص 31.

2- ينظر، وفاء مناصري ، الشعر و التمثيل ، أحمد مطر، أنموذجا ، دار القدس العربي ، وهران،الجزائر، ط 01، 2013 ، ص 114.

المطلب الثاني : أنواع المفارقة

"إن المفارقة جوهر في الأدب ،لأنها تقوم على الصراع بين الأشياء ، الحياة والموت ، المتصور والمألوف ، الفاني والأزلي ، ولأنها تعكس الرؤية المزدوجة في الحياة فهي نظرة فلسفية للوجود من حولنا قبل أن تكون أسلوبا بلاغيا ."[1]

فلقد تنوعت المفارقات وتعددت مفاهيمها ، وشكل هدا المصطلح هاجسا لدى الدارسين ،

لكنهم بالرغم من ذلك حددوا للمفارقة أهم تفرعاتها فقسموها إلى مفارقة لفظية ومفارقة للموقف .

"فليس من الصعب جدا تعريف المفارقة اللفظية بشكل معقول مقبول يمكن تذكره ،لكنه ليس من السهولة بمكان تعريف مفارقة الموقف أو ما يتفرع عنها من مفارقة درامية ، وقد يفسر ذلك بشكل جزئي سبب التأخر الطويل في تحديد ذلك المفهوم ."[2]

لقد حظيت المفارقة من حيث مفهومها بعدة تعاريف وتفسيرات ، ومازال الدارسون يجددون في مفهوم هذا المصطلح إلى يومنا الحالي ، وذلك لما يحتويه هذا المصطلح من دلالات وتأويلات واستعمالات ، فالمستعمل للمفارقة يجب أن يكون وعيا لما يقوله وما يرد الوصول إليه من وراء قوله ، لأن " وعي صاحب المفارقة بنفسه بصفة مراقب يميل إلى زيادة شعوره بالحرية وتوفير حالة من الصفاء أو الابتهاج أو ربما من الحبور. إن وعيه بغفلة الضحية يدفعه أن يرى الضحية مقيدا متورطا حيث ينعم هو بالحرية ؛ مرتبطا حيث يكون هو غير ملتزم ؛مطمئنا ، سريع التصديق أو ساذجا، حيث يكون هو منتقدا، مشككا أو راضيا بتأجيل الحكم . وحيث يكون موقفه موقفا امرئ يبدو عالمه حقيقيا ينطوي على معنى . يجد عالم الضحية وهما أو تافها ."[3] فالمباغتة بالمفارقة تجعل من صاحبها يشعر بقوة كبيرة وسيطرة تامة على من

حوله ، يشد ويرخي متى شاء .

1- نعمان عبد السميع متولي، المفارقة اللغوية ،ص 17 .

2- دي سي ميوميك ، المفارقة وصفاتها،تر، عبد الواحد لؤلؤة ،ص 39 .

3 - المصدر نفسه، ص 56.

أ/ المفارقة اللفظية :

"هي التي يكون المعنى الظاهري واضحا ، ولا يتسم بالغموض وله قوة دلالية مؤثرة ."[1]

ويعرفها ـ ميويك ـ على أنها المفارقة "التي تثير أسئلة تقع في باب البلاغة والأسلوب ولأشكال القصصية والهجائية ووسائل الهجاء."[2]

وقد قسم " ميوميك " هذه الأخيرة إلى قسمين :

1 ـ مفارقة الإبراز .

2 ـ مفارقة النقش الغائر.

وهذه "المفارقة يصنعها صاحبها فيتعمد المفارقة وهذا ما يدعى عادة مفارقة لفظية ، ولكن ،إذ يستطيع صاحب المفارقة أن يستعمل وسائل أخرى ، يمكن أن تدعى بشكل أشمل باسم المفارقة السلوكية "[3]

ب / مفارقة الموقف :

تعتمد على حس الشاعر الذي يرى به الأشياء والأحداث من حوله ،وتصويرها بمنظور المفارقة ويترك للمراقب تحليلها واستنباط أبعادها الفلسفية والشعورية."[1] وقسم هذا النوع من المفارقة إلى خمسة أقسام هي :

1 ـ مفارقة التنافر البسيط .

2 ـ مفارقة الأحداث .

3 ـ المفارقة الدرامية .

4 ـ مفارقة خداع النفس.

1- نعمان عبد السميع متولي ، المفارقة اللغوية ، ص 18.
2 - دي سي ميوميك ، المفارقة وصفاتها، ص 36.
3- المرجع نفسه ،ص 43.

5 ـ مفارقة الورطة .

وتتميز المفارقة بعدة خصائص يحددها ـ ميوميك ـ في أربعة نقاط رئيسية :

ـ التضاد بين المظهر والمخبر.

ـ الغفلة المطمئنة .

ـ الأثر الكوميدي .

ـ عنصر التجرد .

وقد قسم ميوميك المفارقة إلى خمسة طرائق تتشكل فيها وهي :

1ـ السخرية .

2 ـ المفارقة اللاشخصية .

3 ـ الاستخفاف بالذات .

4 ـ التنافر البسيط .

5 ـ الكشف عن الذات .[1]

" لذلك تحتاج المفارقة ـ وخاصة مفارقة الموقف أوالسياق ـ إلى إعمال ذهن ،وتأمل عميق للوصول إلى التعارض، وما يحمل في طياته من دلالات التعارض بين المعنى الظاهر والمعنى الخفي الغائص في أعماق النص وفضاءاته البعيدة "[2] وهذا ما يجعل القارئ يعيد النص أكثر من مرة حتى يفهم المقصود .

1ـ ينظر : دي سي ميوميك ، المفارقة وصفاتها،تر، عبد الواحد لؤلؤة ، ص74، 86، 81.

2ـ نعمان عبد السميع متولي ، المفارقة اللغوية ، ص 19.

كما توجد تسميات أخرى عديدة لأشكال المفارقة نذكر أهمها وأكثرها استعمالا وهي :

ـ مفارقة سافوكليس: وهي المفارقة الدرامية .

ـ المفارقة المأساوية .

ـ المفارقة التشكيكية .

ـ المفارقة الرومانسية.

ـ المفارقة الوجدانية .

ـ المفارقة الفلسفية .

ـ مفارقة القدر.

ـ مفارقة التواضع الزائف .

ـ المفارقة العملية .

ـ المفارقة الهزلية .[1]

وسنتطرق إلى بعض أنواع المفارقات الغالبة على الرواية التي نحن بصدد دراستها ، ونفصل في كيفية استعمال المفارقة وكيف يكون أثرها على القارئ بشكل خاص وعلى الموضوع الذي تريد معالجته هو الآخر .

1ـ ينظر: سليمان خالد، المفارقة والأدب، دراسات في النظرية والتطبيق،دار الشروق، عمان، الأردن، ط01، 1999، ص25،26.

المطلب الثالث : علاقة السخرية بالمفارقة

إن الحديث عن المفارقة هو حديث عن لفظ منطوق ومعنى مقصود ، وبين الملفوظ المعاكس للمقصود يبرز شكل بلاغي آخر يرتبط ارتباطا تكامليا مع المفارقة : وهي السخرية ، هذه الأخيرة التي تزين الملفوظ وما يُظهره ،وتبين المقصود وما يُخفيه ،فلا سخرية دون مفارقة.

"وفي المفارقة تتعدد التفسيرات ، وعلى هدا الأساس هناك مستويان ظاهر وخفي تربط بينهما علاقة ما يساعد القارئ في البحث عن المفارقة في المستوى الخفي .وليست المفارقة وجود اختلاف أو تباين في الجملة أو العبارة فقط ، بل يكون التباين بين الأفكار في النص المكتوب ، ويكثر ذلك في اللغة الساخرة الجادة للظاهرات الاجتماعية والمواقف السياسية المتباينة ."[1]

وهذا ما يظهر جليا في الرواية التي نحن بصدد دراستها ،حيث تتصارع الأفكار، وتتضارب المفاهيم ،وتتصادم المستويات الظاهرة والخفية في جميع مناحي الحياة .

و"تختلف السخرية من منطقة إلى أخرى ومن زمن لآخر على حسب المتعارف والمتداول في كل مجتمع ، فهي تحمل معاني الاستهزاء والهزل والتهكم والمفارقة "[2] لكن لتتحقق هذه المعاني يجب أن تتماشى مع الخصائص والمفاهيم الاجتماعية والثقافية و الزمكانية التي تميز كل مكان عن الآخر.

1- نعمان عبد السميع متولي ، المفارقة اللغوية ، ص 7.

2- ينظر ،الهام شادر ،النزعة الفكاهية الساخرة ،مجلة الأثر ،جامعة باجي مختار عنابة . العدد 30، جوان 2018 ، ص 309.

وقد " تلتبس السخرية بالعديد من المفاهيم التي تقوم مقامها أحيانا مثل الفكاهة والمحاكاة الساخرة، أو تلك التي تنتج الضحك والابتسامة أو الفكاهة السوداء ،إلى غير ذلك من المفاهيم و التعبيرات التي شكلت محور العديد من الدراسات والأبحاث الفلسفية والبلاغية واللسانية .والتداولية والتأويلية، و هي كثيرة ومتعددة وقد تتصل السخرية في سياقات معينة بالهجاء من أجل فضح الأوساخ والاعوجاج ."[1] فقد تكون المفارقة الساخرة مزيجا بين الفكاهة والمحاكاة من أجل الترفيه والتسلية ، وقد تكون من أجل إبراز العيوب وكشف المستور بأسلوب تأويلي مشفر .

إن السخرية والمفارقة هما القلب النابض للخطاب التأويلي المشفر ، لكنهما يختلفان في الأسلوب، لأن السخرية أجرأ من المفارقة ؛إلا أنهما يحققان غاية واحدة هي البعد عن المعنى الحقيقي المباشر في قوالب بلاغية مختلفة .

1- مصطفى الشادلي ،الهزل والسخرية في التراث الشفاهي ، الرباط، ط1 ،2014 ، ص47 .

الفصل الثاني

أشكال السخرية والتهكم

وأثرها في تجسيد القضية الفلسطينية

المبحث الأول : دلالات المفارقة الساخرة في رواية " صديقتي اليهودية "

المطلب الأول : المفارقات في الرواية

المبحث الثاني : دلالات العتبات الأولية في رواية " صديقتي اليهودية "

المطلب الأول : عتبات أولية خارجية

المطلب الثاني: عتبات أولية داخلية

الفصل الثاني : أشكال السخرية والتهكم وأثرها في تجسيد القضية الفلسطينية

المبحث الأول : دلالات المفارقة الساخرة في رواية "صديقتي اليهودية "

يشعر القارئ لرواية صديقتي اليهودية بأنه يشاهد مسلسلا بوليسيا ..دراميا.. تاريخيا..، يتخلله من الحين للآخر إشهارات ترويجية سياحية فائقة الروعة ، ممزوجة بين التصوير والتشويق ما يجعل من القارئ مشاهدا وفيا لدقائق الأحداث ورقائق المواقف .

كما يوضح الكاتب فيها كل اتجاهات الرواية العربية المعاصرة والصراع الحضاري القائم بين الشرق والغرب بأبعاده الأيديولوجية الضاربة في عمق التاريخ .

ينسج لنا الكاتب من خلالها أحداث رحلةٍ برية لرجلٍ عربي ،في وسط فوج من السياح الأجانب على اختلاف مشاربهم ، لتبدأ خيوط الرواية بالامتداد في وسط تلك الحافلة ،التي جمعت هذا العربي مع صديقةٍ تستفز نفسية القارئ عندما يعرف أنها يهودية ، ويستنكر تلك الصداقة التي تجمعها بعربي .

لكن الكاتب كان بارعا في جعل ياء المتكلم لكلمة ..صديقتي .. تحرك وعي القارئ نحو النظر في حقيقة المفارقة المخفية في عمق هذه الصداقة ، فعبر بأسلوب السخرية والتهكم عن أفكاره ومواقفه ، وعبر عن مهارته اللغوية ببساطة اللفظ وعمق المعنى .

وقد كانت المفارقة الساخرة في رواية " **صديقتي اليهودية** " ترجمة لواقع الحال النفسي والاجتماعي والسياسي الذي يحرك نبض قلب الكاتب ،خاصة إذا تعلق الأمر بالعرب عامة وبالقضية الفلسطينية على وجه الخصوص .

المطلب الأول :المفارقات في الرواية

1- مفارقة السخرية والتهكم :

إن "السخرية قديمة قدم الإنسان ، لأنها قد تكون ترويحا عن النفس أو تسرية عن القلب، أو استنكارا لما يقع ،أو هزءا وتندرا بالخصم "[1]

"وقد يكون الضحية هو الهدف الذي تريد المفارقة إصابته ،حاضرا كان أم غائبا ، أو الشخص الذي أخفق في إدراك المفارقة ، سواء كان هو المقصود بها أو لم يكن ."[2]

فالكاتب في هذه الرواية قد تفنن في إبراز جل أشكال السخرية والمفارقات التهكمية في أبهى تمظهراتهما،فكان البناء الحواري للرواية يصور قوة الطرح والإقناع والحجاج لدى الكاتب، النابعة من ثقافته الواسعة ،وقناعاته الفكرية الناضجة والراسخة .

وقد وصلنا الآن لتمثيل أشكال المفارقة والسخرية التي ذكرناها سالفا ، بما يليق بها من حيثيات الرواية ، وبما لها من أثر في تجسيد المأساة الفلسطينية ، وهي على النحو الآتي :

«هذا ما قاله لي سفير أوروبي ذات ليلة وهو يزورني في بيتي مصطحباً زوجته في سهرة عشاء: "لماذا وجّه **نبيُّكم محمد** فتوحاته باتجاه خضرة بلاد الشمال، وجعل القدس قِبلة المسلمين؟ أليست عقدته من حياة الصحاري العربية هي الحافز؟"

1- عبد الحليم محمد حسين ، السخرية في أدب الجاحظ ،الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان ، ط1 ،1988، ص 64 .

2- دي سي ميوميك،موسوعة المصطلح النقدي، المفارقة وصفاتها، تر،عبد الواحد لؤلؤة ،المؤسسة العربية لدراسات والنشر، بيروت، مج 4،ط1، 1993، ص145 .

فوجئت ليلتها بذلك السؤال الذي لم أسمع مثيلاً له، ولم أُحضِّر نفسي للرد على مثل هذه ال.... لم أعرف كيف أجيب، فوجدت نفسي أقول له مندهشاً: "هذا يعني أن الإسكندر المقدوني، والقياصرة الرومان، وهولاكو، ونابليون، والصليبيين، والاستعمار الغربي، والصهاينة، كلهم كانت عندهم عقدة كراهية الخضرة، فراحوا يبحثون عن التصحر، وهم يتوغلون في غزواتهم لبلاد العرب.." .[1]

وهنا تظهر لباقة الرد في أجود صورها الساخرة بقوله " ...والاستعمار الغربي، والصهاينة، كلهم كانت عندهم عقدة كراهية الخضرة، فراحوا يبحثون عن التصحر، وهم يتوغلون في غزواتهم لبلاد العرب.." وهنا يشعر القارئ براحة نفسية كبيرة وتتوطد علاقته مع عبقرية الكاتب ، التي تكبح تهكم الآخر المستصغر لكل من حوله، عن طريق "أسلوب بلاغي عالي التقنية أساسه عرض وجهتي نظر متعادلتين متعارضتين متضادتين بين مفهوم عام شائع وآخر ذاتي فكري ، وكلما اشتد التضاد بينهما برزت المفارقة "[2] لتبيّن مدى جاهزية الرد الغيرمنتظر، على السؤال المباغت الغير برئ ،الذي يربك المُحاور ويعيد توازن الحوار .

كما تتجلى صورٌ أخرى للمفارقة الساخرة عند قوله :

"يبدو أن فيكم جينات الهجرة يا **يائيل !** ألا تلاحظين معي أن مواصفات شخصيتكم غير هادئة ،

1- صبحي فحماوي ، صديقتي اليهودية ، المؤسسة العربية للنشر والتوزيع، بيروت ، ط 01 ، 2015 ص،11 ، 12.

2- ملاذ ناطق علوان ، المفارقة في الشعر الجاهلي (رسالة ماجستير)، كلية التربية للبنات، جامعة بغداد،2004،ص 16.

وأن خارطة خلاياكم الوراثية فيها جينات محفزة للتنقل ، ولا تعرف القعود ، ولا تستطيع الاستقرار تنشده ؟ أنتم شخصية قلقة ، دائمة الهجرة ." [1]

وفي هذه الفقرة تصل السخرية بالكاتب إلى خلايا هذه الصديقة اليهودية بقوله "يبدو أن فيكم جينات الهجرة يا **يائيل !"** ، يعبر فيها عن اللاتوازن الفطري الذي يسري في عروق بني جنسها " **اليهود** " ويستمر بشرح هذه الظاهرة الفيزيولوجية حين قال " وأن خارطة خلاياكم الوراثية فيها جينات محفزة للتنقل " فيستفز كيانها ويجمد الدم في عروقها ،ويثير القلق في نفسها ، فتكون بذلك " سلاحا للهجوم الساخر، وقد تكون أشبه بستار رقيق ، يشف عما وراءه من هزيمة الإنسان ." [2] يكشف من خلالها أبعادا اجتماعية وسياسية تختفي بين طيات تاريخ محرف .

ولم يتوقف عند هذا الحد ،بل بقي في كل مرة يحاول أن يغير الأفكار الخاطئة التي يروح لها الحاقدون حتى تصبح جزءا من التاريخ؛ فها هو يفاجئ تلك المرأة التي وصفته في بداية الرحلة بالإرهابي والممثل الشرعي لصدام حسين فيقول لها: "هل سمعت ما قالته المضيفة عن ثلاثة وثلاثين جسراً تقطع نهر التيمز؟" فقالت متفاجئة بسؤالي لها:

" نعم، سمعت." فقلت لها: "سؤالي هنا هو: هل جاءكم أيُّ عربي، فحطّم جسراً واحداً من هذه الجسور الإنجليزية العتيدة؟".. كنت أتقدم نحوها بوجهي الملتفت إلى الخلف، فأرجعت الغربية الشقراء وجهها المرتبك أمام تقدم وجهي، وكأنها ما تزال مرعوبة من هذا العربي الإرهابي. صارت جادة تقاوم هذه المرّة، وهي تقول: "لا، لم يأت."

1- صبحي فحماوي ، صديقتي اليهودية ،ص 65,64.
2- محمد العبد: المفارقة القرآنية، دراسة في بنية الدلالة، مكتبة الآداب، القاهرة، ط 2 ، 2006 ،ص17.

" كل ما كان عندنا في بغداد هي خمسة جسور، لا نملك غيرها.. أتيتم بعديدكم وعتادكم، مدججين بثلاثين دولة غربية معتدية، فحطمتم الجسور العراقية الخمسة اليتيمة لدينا، بدون أي مبرر، بينما لم تخجلوا بوصم العرب بالإرهاب.. ترى من هو الإرهابي؟ المعتدي، أم العربي المعتدى عليه؟" »[1] في هذه الفقرة يوضح "جمال قاسم " صورة الإرهاب الحقيقية التي لا علاقة لها بقيم وأخلاق العربي ، فيفاجئها بسؤاله : "هل سمعت ما قالته المضيفة عن ثلاثة وثلاثين جسراً تقطع نهر التيمز؟" في هذه اللحظات ترتبك المرأة وترد بصوت خائف " نعم، سمعت." لتأتي بعدها الضربة القاضية عندما حدد لها السؤال قائلا : "سؤالي هنا هو: هل جاءكم أيُّ عربي، فحطّم جسراً واحداً من هذه الجسور الإنجليزية العتيدة؟" ويجيبها في نفس الوقت " كل ما كان عندنا في بغداد هي خمسة جسور، لا نملك غيرها.. أتيتم بعديدكم وعتادكم، مدججين بثلاثين دولة غربية معتدية، فحطمتم الجسور العراقية الخمسة اليتيمة لدينا.. " حينها تبعثرت الأفكار وتشتت الكلمات ولم تستطع المتهكمة أن تبرر حكمها الساقط عن العرب الذي مثلته في شخصية "صدام حسين "؛ فآتت المفارقة الساخرة أكلها في هذا المقطع من الرواية ، فيبرز ذكاء "جمال قاسم "مثال الشاب الواعي المثقف ، المدافع عن شرفه ، والذي يشعر بتمثيل انتمائه في أي مكان يحل به .

1- مصدر سابق: صبحي فحماوي ، صديقتي اليهودية ،ص 08.

2- المفارقة المأساوية الساخرة :

تستخدم المفارقة المأساوية في كشف الحقائق والأسرار ،

تتحرك مشاعر الكاتب في هذا النوع من المفارقة لتعود بنا إلى حضارة العرب التي طمست وحرفت واستنسخت لما قال : " لقد عاش الكنعانيون في فلسطين منذ عصر الانسان الأول ، وأما يهود الخزر الأوروبيين ، فلقد قام كتابهم وفلاسفتهم بقراءة تاريخنا الكنعاني في غفلة من الزمان ، فاستنسخوه ، ثم وضعوا اسمهم مكان اسمنا .. لقد ساروا على خطانا ، ولكن بممحاة، تزيل كل اسم (كنعاني) ، أو فلسطيني ، فتضع مكانه اسم (إسرائيل) .."[1]

في هذه الجزئية تظهر نبرة الكاتب الحزينة على تاريخ العرب المزور ، وحقيقة تواجد السكان الأصليين " الكنعانيين" على أرض فلسطين في قوله " لقد عاش الكنعانيون في فلسطين منذ عصر الإنسان الأول..." وكيف حرف يهود الخزر كل معالم حضارتنا العربية والإسلامية .

كما تظهر كذلك في جزئية أخرى من الرواية مفارقة مأساوية عندما قال :

"الناس سعيدة بإنجازاتها الحضارية، وأنا حزين في هذا الصدد، إذ يعزُّ عليّ ذلك المغدور، رحمةُ اللهِ عليه، "خط حديد الحجاز" الذي تم تدشينه في عصر الدولة العثمانية، والذي كان أفخم تقنية من الخط الإنجليزي، وأكثر أبهة آنذاك.

1- مصدر سابق: صبحي فحماوي ، صديقتي اليهودية ،ص 69.

ولكن الحسود الحقود، الإنجليزي " لورنس العرب" قام بإصدار أوامره السامية بتقطيع أوصال قطارنا الحجازي اليتيم، وبيدينا الكريمتين صفَعَ وجه القطار بفلنكات السكة الحديد..وما لبث أن أصدر أوامره الإمبراطورية بإيداع ما تبقى منه في متحف التاريخ، كي لا يكون معززاً، ولا مُكرّماً.. ومنذ ذلك اليوم لم يعد القطار يمر من أفق ديارنا، فبقينا نمارس السفر، وذلك بالركوب على بعضنا بعضاً إلى يوم الدين...

ولهذا جئنا نحن الأعراب إلى بلاد الإنجليز..إلى بلاد القائد الفذّ، لورنس العرب، لنشم رائحة قطارنا الذي راح (خطيفة) ..هكذا كانوا يقولون عن الفتاة التي تختفي من الحي، إذ يخطفها الغريب، فتروح معه (خطيفة). نزوره اليوم فنبكي على أعتابه، ونتمسح بجسده الجميل، فيسخر أهل الغرب من سلوكنا هذا، بصفتنا عرباً متخلفين...

نتناسى كل الذي مضى وانقضى، ونركب قطارنا..أقصد قطارهم، مزهوين بكونه "شـبِـيـن" قطارنا، الذي سوف نلتقي به في الجنة إن شاء الله."[1]

عبر الكاتب عن حزنه وحصرته الشديدين بلغة على ـ خط الحديد الحجازي ـ قائلا : "الناس سعيدة بإنجازاتها الحضارية، وأنا حزين في هذا الصدد، إذ يعزُّ عليّ ذلك المغدور، رحمةُ اللهِ عليه، "خط حديد الحجاز" الذي تم تدشينه في عصر الدولة العثمانية، والذي كان أفخم تقنية من الخط الإنجليزي، وأكثر أبهة آنذاك " حزين على حضارتنا التي سبقت تحضرهم ، و متحصرٌ على أمجاد أمة كان يحسب لها ألف حساب ، وهذه عينة من آلاف الأمثلة التي تشيه خط حديد الحجاز .

1- مصدر سابق :صبحي فحماوي ، صديقتي اليهودية ، ص ،19، 20.

ومما قالته السيدة **روز**: " كان من نتائج الحرب العالمية أن بريطانيا أهدت فلسطين إلى يهود أوروبا، ليقيموا فيها دولة، يسمونها دولة إسرائيل.." فقلت لها:

" كيف تهدي بريطانيا ما لا تملك، لمن لا يستحق؟" فقالت العجوز:" لقد حزن زوجي على ذلك التسليم. كان يود أن يبقى الإنجليز هم الذين يتمتعون باستعمار فلسطين الدافئة الخضراء الجميلة.." [1] و تبرز المفارقة المأسوية في قول العجوز: **:"** لقد حزن زوجي على ذلك التسليم." إنه التسليم الذي حرم الفلسطينيين حق العيش بسلام على أرضهم، إنه التسليم "الذي يعطي الآخر المحاور حدسا بأن زوج هذه العجوز يستنكر الاستدمار خاصة بعد صمتها المطمئن ممثلا في علامة الوقف **"النقطة"** ، و لكن سرعان ما تسترد الحديث مفضلة الاستدمار البريطاني على الصهيوني الاسرائيلي لكي تعود تلك الخيرات على بلدها بدل الصهاينة اليهود المنبوذين من قبل العالم بأسره ، و هنا يصدم المتلقي بهذه الإضافة اللامنطقية و اللاواقعية و اللانسانية ."[2] ليزيد وقع المفارقة حدة وثقلا عليه ، ويعرف كيف كانت تحاك خيوط المؤامرة "فنلاحظ هنا أن قيام الكيان الصهيوني قد أعتبر منحة لليهود ـ كما يقول الصهاينة ـ مقابل عذابهم في (اوشفتز)، وهو الثمن الذي يجب أن تدفعه البشرية مقابل العذاب اليهودي ."" ..وأن الإنسان الذي يستحق الحياة هو اليهودي فقط ليس مجرد فكرة فارغة ولكنها سلوك عملي أيضا ."[3]

1- مصدر سابق : صبحي فحماوي ، صديقتي اليهودية ، ص 65 .

2- وفاء مناصري ، عناصر مأساوية في رواية صديقتي اليهودية ،موقع نقطة ضوء ،24 جويلية 2017.

3- غالب هلسا، نقد الأدب الصهيوني (الحروب الصليبية)، مؤسسة الانتشار العربي، ط1 ،بيروت ،2008 ،ص51.

3- مـفارقــة الــموقــف:

من مفارقات الموقف التي تزين النص ،وتضفي عليه نفسا جديدا ،هي المفارقة الدرامية ؛والتي استعملها الكاتب في عدة محطات من الرواية ،يغوص بها في أحلام يقظته ، محاولا وصف جهل السلطة وجشعها في استعباد الشعوب ، فيقول بلغة شعرية :

" أتخيل الإمبراطورية التي لا ترحم وهي تتحكم في الشمس.. أجدها تضبط تصرفات الشمس.. تعتقل الشمس.. تلفق للشمس أية تهمة،فتسجن الشمس في قمقم علي بابا.. تمتثل الشمس المغلوبة على أمرها، خاضعة للأوامر المشددة، فتقف في كبد السماء، ولا تغيب.. تسألني لماذا يفعلون هذا كله؟ إنهم يوقفونها، فقط ليعرفوا أن يحلبوا خيرات شعوب العالم على نور.. بينما قائدهم يقول: " أوقف الشمس حتى أحلب أبقار الهند كلها، أوقف الشمس حتى أُجرِّف خيرات هذا العالم.. أوقف الشمس حتى أخلق مكاناً لليهود خارج أوروبا، لأطردهم إليه شر طردة، وأُخلِّصُ الغرب من شرورهم..."[1] وفي حديث مع نفسه يصور لنا "جمال قاسم" مشهدا في قالب مفارقة درامية ، يوضح من خلالها العظمة والقوة التي كانت عليها "انجلترا" فصاروا يلقبونها بالإمبراطورية التي لا تغيب عنها الشمس في قوله :" أتخيل الإمبراطورية التي لا ترحم وهي تتحكم في الشمس.. أجدها تضبط تصرفات الشمس.. تعتقل الشمس.. تلفق للشمس أية تهمة،فتسجن الشمس في قمقم علي بابا.. " وكيف سخرت هذه القوة في استغلال ثروات البلدان المغلوب على أمرها " فقط ليعرفوا أن يحلبوا خيرات شعوب العالم على نور.." ويواصل قائلا " بينما قائدهم يقول: أوقف الشمس حتى أحلب أبقار الهند كلها، أوقف الشمس حتى أُجرِّف خيرات هذا العالم.." ليصل بعدها إلى لب الصراع القائم مع اليهود وكيف نجحوا في طردهم من أوروبا ليغتصبوا أرض العرب ؛ " أوقف الشمس حتى أخلق مكاناً لليهود خارج أوروبا، لأطردهم إليه شر طردة، وأُخلِّصُ الغرب من شرورهم...".

1- مصدر سابق: صبحي فحماوي ، صديقتي اليهودية ،ص61 .

4- المفارقة اللفظية الساخرة :

في هذا النوع من المفارقة يقوم الكاتب " على تقديم رقعة لفظية في بنية نصية أو حوارية تهدف إلى السخرية من الطرف الآخر ، في تقنية تقوم على حشو هذه الرقعة بألفاظ تظهر في مستواها الأفقي نقيض ما تبطنه في مستواها العمودي ." [1] وفي هذا المنوال يقول "جمال قاسم "

" ذكرني هذا المشهد بما أراه في كثير من بلادنا العربية ،حيث لا توجد أرصفة أصلا .. " " وأما عن فريق صيانة الأرصفة المكون من خمسة أنفار ،والذي قد يتوجه إلى الرصيف المخلع حتى النخاع .. يعجبك عنفوان أحدهم المتفرغ لقيادة الناقلة ، وهو يوقعها على مسرب الطريق ،غير آبه بحركة السيارات ، وترى الثاني ؛ مهندس العملية أو رئيس عمالها بنفسه ،وهو يشد بنطاله ، ويثبت تحته القميص المنفلتة أطرافه ،ليخضعه إلى بيت الطاعة و ثم يتفحص عملية التبليط الثورية التي ستتم .." هي مقارنة وردت في الرواية ، بين طريقة صيانة رصيف في بلاد الغرب ، وعندنا نحن العرب ،لقد وصف في مقطعٍ قبل الذي ذكرناه عندهم العمل المحترف والمنظم في كل شيء؛ حتى في أبسط حركة في حياتهم ،وعلى عكس ذلك عندنا نحن العرب فصيانة رصيف تعتبر عملية ثورية كما وصفه في قوله :" وترى الثاني ؛ مهندس العملية أو رئيس عمالها بنفسه ،وهو يشد بنطاله ، ويثبت تحته القميص المنفلتة أطرافه ،ليخضعه إلى بيت الطاعة و ثم يتفحص عملية التبليط الثورية التي ستتم .." هـذه السخرية فيها دلالات عميقة عن

1- أحمد داود عبد الله خليفة ،المفارقة في قصص زكرياء تامر،رسالة دكتورا ،كلية الدراسات العليا،جامعة الأردن ،2004،ص39.

نمط حياتنا ، والمنهجية الخاطئة التي تسير عليها سياساتنا ، واللامسؤولية الغالبة على طبعنا ، والسباق نحو الأسوأ ، وفي المقابل الكل غير راضٍ عن الكل ، وهذا هو سبب ضعفنا وتشتتنا وتبعيتنا ، فلن يغير الله ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم .

ومن المفارقة اللفظية الساخرة أيضا قوله : " كنت وأنا صغير أراقب الكلاب في أي مكان. كثيراً ما كان أحدهم يرفع رجله، ثم يبول على أي شيء مرتفع في الطريق، على جدار، أو على عمود كهرباء. سألت أبي عن سر هذا التبول الحقير، فقال لي:الكلب نجس بطبعه، وظيفته أن يُنجِّس الأشياء، فإذا لم يجدها يا ولدي، فإنه يبول حتى ولو على عمود كهرباء." [1] وفي هذا حديث عن غريزة حيوانية حقيرة ، وعن نجاسة فطرية لطالما عرف بها " **الكلب** " لكن في مقابل ذلك ، فيها تلميح إلى علاقة وعامل مشترك ،أصبح يربط بعض البشر بهذا الحيوان ، في قوله : "الكلب نجس بطبعه، وظيفته أن يُنجِّس الأشياء، فإذا لم يجدها يا ولدي، فإنه يبول حتى ولو على عمود كهرباء." فبعض البشر أصبح همهم الوحيد هو الفساد والإفساد ،وهدم القيم والأخلاق ، وقطع علاقة الإنسان مع العقل .

فالروائي "صبحي فحماوي" "أجاد هذا الضرب من التشفير عبر أسلوب تهكمي ساخر ، يقتحم المحظور بسخرية مستفزة ، مستنفرة ، مستنكرة ، تؤلم من شدة الهزل ، و تبكي من شدة الضحك ، مما يعني أن الكتابة لديه لا تبلغ حد الإثارة الساخرة ما لم تجعل الألم والوجع والأسى منتهى غايتها. "[2]

1- مصدر سابق : صبحي فحماوي ، صديقتي اليهودية ، ص15.
2- وفاء مناصري ، عناصر مأساوية في رواية صديقتي اليهودية ،موقع نقطة ضوء ،24 جويلية 2017 .

المبحث الثـــاني : دلالات العتبات الأولية لرواية " صديقتي اليهودية "

لقد قدمت العتبات الأولية المتنوعة خدمات جلية للنص الأدبي ، فأصبح ينظر إليها بعين التدقيق والتحقيق ،لأنها تصور التفاصيل و التأويلات القرائية التي توقد في نفسية القارئ حب الاستطلاع والتقصي، وتكسر ذلك الغموض الذي يحيط بالنص " لذا فإن كثيرا من الدارسين يرون أن العتبات النصية الموضوعة حول النص باتت تشكل في الوقت الحاضر نظاما إشاريا ومعرفيا لا يقل أهمية عن المتن ويجب على القارئ أن يلاحظه ويربطه به ."[1] ومن هنا نلاحظ أن الهيئة الخارجية للنص شديدة الارتباط ببنائه الداخلي ، وقد زاد هذه الأخيرة أهمية قول :(**جيرار جينيت**) من خلال حكمته المشهورة **" احذروا العتبات "** ليصرف نظر كلٍ من الكاتب والقارئ إلى النص المحيط الذي يعتبر بمثابة نص موازٍ للمضمون .

المطلب الأول : عتبات أولية خارجية .

1- العنوان :

يعد العنوان من العتبات الخارجية المهمة دراستها ، فهو الذي يرسم التصورات الأولية المناسبة لمضمون النص ، فيعتبر العنوان "مجموعة العلامات اللسانية من كلمات و جمل، و حتى نصوص، قد تظهر على رأس النص لتدل عليه، و تعينه، و تشير لمحتواه الكلي، و لجذب جمهوره المستهدف "[2]

---

1 ـ براهيم نصر الله ، سحر النص (من أجنحة الشعر إلى أفق السرد) ، تق: محمد صابر عبيد ، قراءات في المدونة الإبداعية ، دار الفارس ، الأردن ، ط 1 ، 2008 م ، ص 199.

2 ـ عبد الحق بلعابد،عتبات (جيرار جينيت من النص إلى المناص)،الدار العربية للعلوم ناشرون،ط1،بيروت ،2008،ص 67.

فقد يكون العنوان مفتاحا لعقد النص ،كما قد يشكل هو الآخر غموضا لا يتضح إلا بعد التغلغل في حنايا النص ، فيظهر بذلك أثر عتبة العنوان وتزيد معه متعة القارئ .

"وأياً كان الأمر فالمؤلف لا يضع عنوانه اعتباطاً، بل يتقصد من ورائه مزيداً من الدلالات والإضاءات التي تساهم في فك رموز نصه سواء أكان ذلك في صياغته وتركيبه أم في دلالته، وتعالقه بالنص اللاحق."[1] ففي رواية "صديقتي اليهودية " تبرز دلالات عنوانها الصادم في صياغته والغريب في معناه ، ليخلق لدى القارئ ارتباكا معنويا يستفز ملكته القرائية ، ويجذب فضوله للبحث في خلفيات هذا الأخير، ويجعله يطرح تساؤلات عدة في تناسق العنوان مع المضمون ، وفي نوع الصداقة والعلاقة مع هذه اليهودية ، فيصبح القارئ محبوسا داخل الرواية بتهمة تمعنه في العنوان ، ليكون بذلك العنوان قد أدى دوره بشكل جيد كعتبة أولية بالنسبة للقارئ.

كما "يعتبر العنوان عنصرا أساسيا في بنية النص وفهم ما غمض منه ، إذ هو المحور الذي يتوالد ويتنامى ويعيد إنتاج نفسه فهو إن صحت المشابهة بمثابة الرأس للجسد ، والأساس الذي تبنى عليه ، غير أنه إما أن يكون طويلا فيساعد على توقع المضمون الذي يتلوه ، وإما أن يكون قصيرا وحينئذ فإنه لابد من قرائن لغوية توحي بما يتبعه"[2]

لكن قصر عنوان رواية "صديقتي اليهودية" حمل أبعادا رمزية مشفرة فريدة من نوعها فكان

1- أمل أحمد عبد اللطيف ،عتبة العنوان في رواية إلياس خوري"يالو"، منتديات حلم الباحث،15ديسمبر2005.

2 ـ عبد المجيد الحسيب ، الرواية العربية الجديدة (إشكالية اللغة)، عالم الكتب الحديث ،ط1 ، الأردن ،2014، ص 221

بمثابة قِصر الإنسان العالم الذي ينظر إلى علمه لا إلى قامته .

لكن قصر عنوان رواية "صديقتي اليهودية" حمل أبعادا رمزية مشفرة فريدة من نوعها فكان بمثابة قِصر الإنسان العالم الذي ينظر إلى علمه لا إلى قامته .

فالعنوان" هو وجهة النص مصغرا على صفحة الغلاف ، لذا كان دائما يعد نظاما سميائيا ذا أبعاد دلالية وأخرى رمزية تغري الباحث بتتبع دلالاته ومحاولة فك شفراته الرامزة "[1]

"إن أهمية العنوان تنبثق ليس بوصفه إعلاما عن محتوى الكتاب وإخبارا له فحسب، بقدر ما أن فعل القراءة يتوقف عليه، فالكاتب يحقق كينونة بفعل القراءة ، وعدم القراءة يدفع الكتاب أوالنص إلى حافة المجهول ومن هنا الوصف بأن (**العنوان**) نافذة النص على العالم ،ودليل القارئ إلى النص أي أن وجوده من وجود العنوان "[2] وهذا ما حققته الرواية بكل جدارة من خلال عنوانها،ولخصت به موضوع صراع قائم منذ قرون ، بمفارقة الصداقة مع العدو؛ فلقد شمل عنوان " صديقتي اليهودية " وأدى كل وظائف العنوان التي لخصها "عبد الحق بلعابد في كتابه عتبات جيرار جينيت"وهي :

- وظيفة تعيينية
- وظيفة وصفية
- الوظيفة الدلالية الضمنية والمصاحبة
- الوظيفة الإغرائية .[3]

1- محمد فكري الجزار، العنوان وسيموطيقا الاتصال الأدبي ،المصرية العامة للكتاب الأدبي،مصر ،1998،ص 15.

2- خالد حسين حسين ، في نظرية العنوان (مغامرة تأويلية في شؤون العتبة النصية)، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، ط1 ،2007، ص493

3- ينظر :عبد الحق بلعابد ،عتبات جيرار جينيت (من النص إلى المناص)،الدارالعربية للعلوم ناشرون ،بيروت ،ط1، 2008، ص 73,78,87 .

2- الغـــــــلاف :

بعد قراءة العنوان فإن القارئ يتوقف وقفة تأمل عند الغلاف ، فقد كان أجدادنا قديما يحكمون عـلى خيرات السنة مـن الـخريـف، فـكانـوا يقـولون بـلغـتهم العامية " العام يبان من خريفو" ، كذلك القارئ فإنه يحكم على جودة الكتاب من مظهره الخارجي قبل الولوج إلى مضمونه ، فللغلاف الخارجي دور كبير في إعطاء صورة حسنة عن الكتاب ،لكن ليس بالضرورة أن يكون الغلاف هو الحاكم على المضمون ، وإنما أصبح من الأهمية بمكان أن يكون الغلاف محترما،جذابا، مدروسا بحيث يحرك في المشاهد أو القارئ غريزة الإعجاب.

"إن من شروط تصميم الغلاف الفعال، أن يكون قادراً على جذب الانتباه وإثارة الاهتمام، ولتحقيق هذه الغاية، فإنه يتطلب خاصيتي التناسب والمرونة البصرية، لتحقيق أفضل تمركز بصري ممكن، من شأنه أن يساعد على التحكم في حركة العين، التي تنجذب نحو الأشياء ذات الأحجام الكبيرة، والأشكال البارزة والصور المحفزة والألوان المثيرة."[1] فقد اجتمعت هذه الشروط في رواية" صديقتي اليهودية " وتجسدت في تلك الصورة الضبابية ذات الألوان الخافتة والداكنة في نفس الوقت ، ما يجعل الناظر إليها يدقق في تفاصيلها وكأنه يبحث عن شيء ما .

"إن عتبات النص من عنوانات رئيسة وفرعية، وتصديرات، وإهداءات، وكلمات الغلاف وغيرها بوابات يمكن الدخول من خلالها إلى عالم النص، حيث تعطي القارئ تصوراً أولياً عن النص قبل قراءته. "[2] فـلكل رواية خصوصيتها ،والغلاف هـو الحارس الأمين للـرواية ،يحافظ على رونقها وسمعتها ،و يعكس قيمة ما يحميه داخله .

1- محمد بلوافي ، قراءة في غلاف الرواية ،موقع ديوان العرب ،01 ماي 2009 .

2- موزة آل علي ،عتبات الإبداع التي تأخذ بيد الجمهور للعالم المسحور، صحيفة الاتحاد ، الإمارات، 29 سبتمبر 2016 ،العدد 15055،ص12.

2

وقد "حدد جينيت في كتابه (عتبات) جملة من الضوابط من نصوص مجاورة تجاور النص في شكل عتبات وملحقات أو توابع قد تكون داخلية، أو خارجية تساعدنا على فهم خصوصية النص الأدبي، كـ «أسماء المؤلفين، المقدمات، الإهداءات، الحوارات، الاستجوابات، العناوين والصور وغيرها، باعتبارها عتبات لها سياقات توظيفية تاريخية ونصية، ووظائف تأليفية تختزل جانباً مركزياً من منطق الكتابة». وهذا يعني أن للعتبات أهمية كبرى في فهم النص، وتفسيره، وتأويله من جميع زواياه، والإحاطة به إحاطة شمولية، وذلك بالإلمام بجميع تمفصلاته البنيوية المجاورة من الداخل والخارج."[1]

ففي رواية " صديقتي اليهودية " كان تصميم الغلاف عبارة عن لوحة فنية لمنظر واقعي،يعكس مضمون الرواية " وهي تمثل نصاً بصرياً، تتداخل عبره العلامات الكاليغرافية، والألوان المتراكبة - ، فهي بمثابة لغة ثانية؛ دالة وبشكل كثيف. لكن باعتبارها كماهية بصرية، تستدعي اقترانها برسالة لسانية تعضد دلالتها، فصورة الغلاف هي اختزال للنص، في دلالات مكثفة."[2] فهي تضم بداخلها صورة لشابين تحت مطاريه واحدة ،يتضح من خلال الصور أنهما رجل وامرأة ،يمشيان على ضفة نهر ممتدة على طول الطريق ،تنعكس أضواء الإنارة العمومية على الطريق المبللة بماء المطر فتشكل منظرا خلابا بألوان الطيف السبعة،في قالب رومانسي يحدث في النفس نوعا من الهدوء والطمأنينة، وفي نفس الوقت يصور مشهدا حزينا ذا أفق ضبابي يعبر عن دلالات داخل الرواية .

1- مرجع سابق : موزة آل علي ،عتبات الإبداع التي تأخذ بيد الجمهور للعالم المسحور.ص12.

2- مرجع سابق: محمد بلوافي ،قراءة في غلاف الرواية ، موقع ديوان العرب.

3- الصورة والألوان :

توجد عدة آراء تتحدث عن الألوان لكن الرأي السائد " يرى أن تصنيف الألـــوان وتسميتها قام ـ منذ قام ـ على أساس من نظام الإدراك الحسي البشري ،وفسيولوجية رؤية الألوان . ولذلك فهو أبعد ما يكون عن العشوائية ،وأقرب ما يكون إلى العالمية ."[1] فقد أصبحت الصورة تؤدي دور الكلمات؛ بل وأكثر في بعض الأحيان ،فهي تصل إلى العقل قبل الحروف، وترسم فيه إيحاءات رمزية تلخص في إطارها قصة مكتملة الأركان .

إن هذه التركيبة الفنية لها دلالات رمزية وأبعاد تصويرية اجتماعية وسياسية وحضارية إن صح القول " ولعل هذه الصورة في بعدها الأنثروبولوجي، قد جسدت على مستوى الظاهر، ذاك التحول التكنولوجي والفكري الذي عرفته البشرية، والفرق الواضح، بين معطيات الفكر القديم والجديد؛ أي أنها تشير إلى تطور فكر الإنسان، وتكيفه مع الطبيعة والبيئة والوسط، من أجل البناء والراحة، تجاوزاً لواقع الصراع والتدمير، بارتقائه في مدينته، وحياته الاجتماعية،

1- أحمد مختار ، اللغة واللون ،عالم الكتب للنشرو التوزيع، القاهرة، ط2 ، 1998، ص21.

وظروفه المادية، بينما ينبثق الفزع والخوف والاضطراب من حيز الخواء أو الفراغ المجسد للغموض والمجهول، وقد جاء المنظر بألوان ضبابية، تعين وتساعد على تجسيد الفكرة "[1]

فنلاحظ تلك البنايات في نهاية الطريق والإضاءة في الشارع تعبيرا عن التطور العمراني والحضري ،كما أخذ بعين الاعتبار دور الطبيعة والأشجار في جمال المحيط ،ويبرزجليا ميل الكاتب إلى الطبيعة كونه مهندس حدائق .

فمن خلال هذا البناء المتجانس في الصورة يمكن القول أن " " اللغة البصرية "التي يتم عبرها توليد مجمل الدلالات داخل الصورة هي لغة بالغة التركيب والتنوع وتستند من أجل بناء نصوصها إلى مكونين :

ـ ما يعود إلى العلامة الأيقونة؛ و ما يعود إلى العلامة التشكيلية .

فالصورة تستند ،من أجل إنتاج معانيها ،إلى المعطيات التي يوفرها التمثيل الأيقوني كإنتاج بصري لموجودات طبيعية تامة (وجوه، أجسام ، حيوانات ، أشياء من الطبيعة...)،وتستند من جهة ثانية إلى معطيات طبيعية أخرى، أي إلى عناصر ليست من الطبيعة ولا من الكائنات التي تؤثث هذه الطبيعة."[2] مثل الخطوط والألوان والأشكال المنتشرة في مساحة الصورة ،والتي ساعدت بشكل كبير في قراءة مابين سطور ،وتعدد دلالاتها خاصة بعد قراءة الرواية .

و تشبعت الرواية برمزية الألوان الموجودة في صورة غلافها ،فكان الأبيض حاضرا يرمز إلى الصفاء والأمل ورحابة الصدر

موضع لآخر،ففي هذه الرواية يدل على الغيرة والمكر والخداع الذي يغلب على فطرة اليهود، أما عن الأسود فلم يكن بارزا مايدل على قوة الكاتب وثقته بنفسه مع قليل من الحزن والأسف على وضع العرب عامة وفلسطين بشكل خاص ، وقد دعمه في هذا المعنى اللون البني الذي يرمز للتشاؤم والغموض .

1- مرجع سابق: محمد بلوافي ،قراءة في غلاف الرواية ، موقع ديوان العرب.

2- سعيد بنكراد ،السيميائية مفاهيمها وتطبيقاتها ، دار الحوار للنشر والتوزيع ،سوريا، ط3 2012،ص133.

4- الـكـــاتب:

ـ هو صبحي أحمد حسن خليل واسم شهرته : **"صبحي فحماوي"**

ولد بأم الزينات بفلسطين العام 1948 م ، وهو ذو الجنسية الأردنية.

ـ هـو أديب وكـاتب ونـاقد لـه عدة أعمال روائية نذكر منها :

رواية " عذبة " ورواية " الحب في زمن العولمة " و" حرمتان ومحرم" و " قصة عشق كنعانية " و الأرملة السوداء " ولا ننسى روايته الشهيرة والتي وقع عليها اختار دراستها في هذه المذكرة وهي رواية **" صديقتي اليهودية ".**

ـ عضو في رابطة الكتاب الأردنيين ، واتحاد كتاب مصر ، ونادي القصة المصري ، واتحاد الكتاب العرب في سوريا ، وعضو القلم الأردني الدولي ،ورئيس في منتدى الرواد الكبار .

ـ مؤسس ورئيس تحرير (أخبار الرواية) ، وكاتب عمود في جريدة " أخبار الأدب "المصرية .

ـ مهندس حدائق ، وعضو الجمعية الأمريكية لمهندسي الحدائق. زرع أكثر من مليون شجرة في الأردن وغيرها .

ـ شارك في عدة مؤتمرات وملتقيات وندوات أدبية وفكرية ، وحصل على عدة جوائز في الأدب منها جائزة الطيب صالح لعام 2014 لمسرحية " حاتم الطائي المومياء.[1]

1- ينظر : صبحي فحماوي ، رواية صديقتي اليهودية ،ص 227,228 .

5- دار الـنشــر :

ـ المؤسسة العربية للدراسات والنشر هي : دار نشر لبنانية أُسست في عام 1969، وتُعنى بنشر الأعمال العربية في مختلف المجالات الأدبية والثقافية والسياسية والفكرية، وقامت على مدار 40 عام بنشر العديد من الروايات الشهيرة مثل **ثلاثية غرناطة** وغيرها.

ـ حازت العديد من مطبوعاتها على جوائز، وتشارك بصفة دائمة في العديد من معارض الكتاب.

ـ في عام 1969 أطلق الدكتور عبد الوهاب الكيالي مشروعه بتأسيس الدار والذي اتخذ العاصمة اللبنانية بيروت مقرًا لها، حيث كانت الدار معنيةً بقضايا الأمة العربية وعلى رأسها قضية فلسطين .كان كتاب تاريخ فلسطين الحديث هو باكورة إصدارات المؤسسة .واجهت المؤسسة العديد من الظروف والعقبات التي تمثلت بالأحداث السياسية التي وقعت في لبنان كالحرب الأهلية اللبنانية .

ـ اشتهرت المؤسسة في الأوساط الثقافية بتقليد سنوي، حيث تقوم في مطلع كل سنة ميلادية بتصميم طابع صغير يوضع على الغلاف الخلفي لجميع مطبوعاتها تكريماً لبعض الأسماء البارزة.[1]

1- المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،ويكيبيديا الموسوعة الحرة،06 ماي 2020 ،http://www.wikipedia.com

المطلب الثاني : عتبات أولية داخلية .

1- الـلغــة :

عُرّفت اللغة على أنها أصوات وملكات وألفاظ ، وعلى اختلاف التسميات أجمع علماء الأدب والفلاسفة على أن اللغة وسيلة للتعبير والتواصل ، مهما اختلفت في تراكيبها ولهجاتها .

فقد عرفها ابن جني بأنّها : " أصوات يعبّر بها كلّ قوم عن أغراضهم ."[1] كما وصفها ابن خلدون في قوله : " اعلم أنّ اللغات كلها ملكات شبيهة بالصناعة إذ هي ملكات في اللسان للعبارة عن المعاني، وجودتها وقصورها بحسب تمام الملكة أو نقصانها، وليس ذلك بالنظر إلى المفردات، وإنما هو بالنظر إلى التراكيب. "[2] أما ابن حزم فقال بأنها " ألفاظ يعبر بها عن المسميات، وعن المعاني المراد إفهامها،ولكل أمة لغتهم ."[3]

وفي دراستنا لرواية صديقتي اليهودية ، وجدنا أن الكاتب و بلغته البسيطة قد حقق كل معاني اللغة التواصلية والإيحائية ، بتراكيب تعبر عن واقع الحال ،وتجعل القارئ يستأنس مع شجن الحديث وليس مع صعوبة الألفاظ وغرابتها .

فنلاحظ ذلك الاستعمال السلس في قوله "السفن تمخر في عباب البحر، شمالا باتجاه المياه الباردة ، وجنوبا باتجاه المياه الدافئة .. بواخر تقف في الميناء لشأن أو لآخر.. ومن حولنا في منطقه الميناء المهيب ، نشاهد مباني وأجهزة (تصدير وتصدير).. تختلف عن بلادنا العربية،

1- عثمان ابن جني ، الخصائص ، دار الكتب المصرية ، ط2 ، مصر ، 1955 ، ج 1 ، ص33 .
2 - عبد الرحمان ابن خلدون ، المقدمة، تحقيق عبد السلام الشدادي ، خزانة ابن خلدون بين الفنون والعلوم و الأدب، ط1 ، الدار البيضاء، ج 3 ، ص 250 .
3 - سليمان بن ناصر الطيار ،التفسير اللغوي للقرآن الكريم ، دار ابن الجوزي ، ص 34 .

ذات منشآت الموانئ الكئيبة، المخصصة (للاستيراد والاستيراد)..."[1] هذه المفارقات التي تعج بها لغة الكاتب لها من الدلالات والأبعاد السياسية والاقتصادية مالها ، يوظفها الكاتب بطريقة تحقق بالفعل غايتها ، و" اللغة بناء مفروض على الأديب من الخارج والأسلوب مجموعة من الإمكانيات تحققها اللغة ،ويستغل أكبر قدر ممكن منها الكاتب الناجح أوصانع الجمال الذي لايهمه تأدية المعنى وحسب ، بل يبغي إيصال المعنى بأوضح السبل وأحسنها وأجملها ، وإذا لم يتحقق هذا الأمر فشل الكاتب وانعدم معه الأسلوب "[2]

"من أهم سمات اللغة الروائية أنها تقترب من الواقع على الرغم من أنها تعالج عوالم خيالية ،لكنها عوالم تحاول الإبهام بالواقع المعيش ولذلك فإن الروائي يستخدم اللغة البسيطة الواضحة سردا ووصفا أوحوارا "[3] ففي الرواية نرى أن الكاتب يصف كل ما يشاهده وصفا دقيقا يجعل القارئ يشاركه تلك اللحظات ، فيصف المدينة قائلا " المدن المعولمة صارت كلها متشابهة .. الحافلة تشق عمارات مكتظة، مختلفة الأطوال ، الأرضية السماوية الناطحة السحاب الهابطة الطالعة النازلة ذوات الأحجام المضلعة الزوايا الحادة القائمة المائلة الكروية البيضاوية الإهليليجية المرفوعة على الأعمدة بواجهاتها الزجاجية الشمعية الذهبية البيضاء الزرقاء الزهرية البنية الصفراء الخضراء الطوبية الحمراء المختلفة الألوان..."[4]

1- صبحي فحماوي ، صديقتي اليهودية ،ص 92.

2- عبد السلام المسدي ،الأسلوبية والأسلوب، الدار العربية للكتاب ، ط 3 .ص85.

3- ابراهيم الشيخ ،مواقف اجتماعية وسياسية في أدب نجيب محفوظ .مكتبة الشروق ،ط3 ،القاهرة ،1987، ص224.

4- مصدرسابق ، صبحي فحماوي ، صديقتي اليهودية ،ص10.

" لغة الرواية سهلة سلسة في متناول القارئ العادي، وتعكس تراكيبها تصويرا عاطفيا هامسة في أذنه نبضها الحي الذي يعد أجمل ما فيها فلا تكاد تخرج إدراكات العقل البشري التي هي إدراكات حسية وعاطفية وانفعالية ، حيث تنهال على العقل انهيالا قويا وكل الأفكار التي هي علامات ضامرة "[1] ويتجلى هذا في رواية صديقتي اليهودية من بدايتها إلى نهايتها .

إذ تجنح لغة صبحي فحماوي نحو اللغة الشعرية التي عرفها ـ جون كوين ـ "بـأنها الانـزياح عن لغة النـثر ،باعتبار أن لـغة النثر عنده توصف بأنها لغة الصفر في الكتابة ، والانزياح عنها يعد دخـولا في اللغة الشعرية التي تعـني كـل مـا لـيس شائعا ولا عـاديـا ولا مصوغا في قوالب مستهلكة" [2] حيث وظفها الكاتب في قولة :" الحافلة تسير بنا في شوارع العاصمة وهي تنهب العمارات الشاهقة المستأنسة بالأشجار الباسقة والمتطلعة إلى بعض الغيوم البيضاء الهابطة علينا من زرقة السماء " [3]

" الرواية صياغة بنائية مميزة ، والخطاب الروائي لا يمكن أن يتحدد بالحكاية فحسب ، بل بما يتضمن من لغة توحي بأكثر من الحكاية ، وأبعد من زمانها ومكانها ومن أحداثها وشخصياتها ، والرواية ليست لها لبنات أخرى تقيم منها عالمها غير الكلمات ، ونحن لا يمكن أن نقول شيئا مفيدا حول رواية ما، ما لم نهتم بالطريقة التي صنعت بها "[4] فلغة الكاتب الناضجة جعلت بناء مشاهد الرواية غاية في الروعة ، تنتقل فيها بين الأحداث بوسائل لغوية إبداعية .

1- أحمد يوسف ، السيميائيات الواصفة (المنطق السيميائي وجبر العلامات)، المركز الثقافي العربي ،ط1، بيروت ،ص85.
2- كوين جون ، بناء لغة الشعر ،تر: أحمد درويش ،مكتبة الزهراء ، القاهرة ، ص24 - 35.
3- صبحي فحماوي ، صديقتي اليهودية ،ص 9
4 ـ محمد العيد تاورته ، تقنيات اللغة في مجال الرواية الأدبية ،مجلة العلوم الانسانية ،العدد 21، جوان 2004 ،ص51.

2- الـحوارات :

تعتبر الحوارات من أهم عناصر العتبات الداخلية لأنها تشكل النص الروائي، وهي التي تعلي مقام النص أو تدنيه ، وما جعلنا ندرس هذه الرواية هو قوة الحوار الذي يشكل جل الرواية إن لم نقل كلها ، إذ " يعد الحوار حديثا يدور بين اثنين على الأقل و يتناول شتى الموضوعات، أوهو كلام يقع بين الأديب ونفسه ،أو ما ينزله مقام نفسه يُفرض فيه الإبانة عن المواقف والكشف عن خبايا النفس"[1] .

ففي بداية الرواية يبدأ الكاتب بالحوار مع نفسه "... ترى هل هو الخجل الأنثوي المفروض عليها ،أم هو نوع من التزام المرأة بحدودها ،أم هو رقة المرأة وضعفها الذي تتظاهر به، لتستطيع أن تخرق قلب الرجل ، أم هو التصنيع الذي تتقنه المرأة .." فكان الحوار عبارة عن تساؤلات لمعرفة حقيقة المرأة التي تجلس بجانب البطل في الرواية ،والتي ستكون المرافق له طول الرحلة و "من غير المعقول أن تستمر هذه الرحلة الطويلة، من دون حوارات وأحاديث بين زميلين يجلسان متجاورين على مقعد واحد ."[2]

يبدأ الحوار بالتعارف "أعرفها على نفسي.. اسمي **جمال قاسم** "فتقول "وأنا اسمي **يائيل** " ليشق الحوار طريقه إلى بعض الخصوصيات ،ومن ثم إلى ألفة واسترسال بلا تحفظ ولا مجاملة ، وبهذا "يعد الحوار دافعا ومحفزا حقيقيا لتنامي واستمرار وتواصل الحدث القصصي وإضفاء طابع المصداقية والواقعية عليه، فهو عنصر رئيسي من عناصر الفعل الحكائي إذ يشترك ويترابط ويتواجد مع العناصر والوسائل الأخرى لتحقيق الغايات الفنية من كتابة العمل السردي بناءً و تقنية وموضوعا،ورسما للشخصيات وخلقا للأجواء من حولها."[3] فتنطلق رحلة الحوارات الشيقة بين أرجاء الرحلة البرية بين حوارات داخلية وأخرى خارجية تتخللها غفوة نوم " **ليائيل** " من الحين للآخر، يستغلها جمال قاسم في وصف ما وراء زجاج الحافلة .

1- جبور عبد النور ،المعجم الأدبي، دار العلم للملايين ،ط2 ، بيروت ،ص100.

2 - صبحي فحماوي ،صديقتي اليهودية ،ص20.

3- نجم عبد الله كاظم ،مشكلة الحوار في الرواية العربية، منشورات اتحاد وكتاب وأدباء الإمارات ،ط 1، الشارقة ،2004، ص96.

" .. إلى أين تذهب المفارق .كيف تعلو الجسور العرضية .كيف تتباهى الأعشاب الخضراء سعيدة بالطرقات .. عالم انجليزي منظم يا أخي ..ولم لا، أليسوا أصحاب الإمبراطورية التي لا تغيب عنها الشمس ؟ "[1] حوار فيه وصف و اندهاش يصور حضارة لا تغيب عنها الشمس ،في " حوار من جهة واحدة ؛ أي أنه حديث النفس لذاتها جراء موقف ما، أو استرجاع لذكريات ماضيه، فهو حديث النفس للنفس بعيدا عن إسماع الآخرين فان الاستخدام الأدبي والنقدي يفرق بينهما ،على أن المونولوج نوع أدبي شامل لكل ما تنطقه الشخصية على منصة المسرح ،في حين تعد المناجاة نوعا من انواع المونولوج وخاصة عندما تفضي الشخصية بمكنونات قلبها على انفراد في لحظه من لحظات التطور المصيري الحاسم ."[2] وهذا ما يسود معظم يوميات الرواية .

ويستمر تبادل أطراف الحديث في مواضيع مختلفة تفتح باب الفضول للقارئ " تعرف يا **جمال** ،لقد ارتعبت منك في بداية الحديث ، وخفت أن تطلع لي في الليل ، بصفة عربي إرهابي مرعب ،ولكن حوارنا وقصصك التي ذكرت ،جعلتني أتعرف على إنسان رقيق المشاعر ،فأثق بك ، وأتفاعل معك .." " قلت لك إن لي ولدين على وشك التخرج من مدرستي الثانوية وسيلتحقان بجامعة نيويورك ليدرسا الحقوق ، وتقول لي :تنجبين !"

"هل بقيا مع أبيهما وأنت في هذه الرحلة ؟"

"أعتذرعن الحديث عن خصوصياتي ، والحقيقة يا **جمال** أنني أنجبت أحدهما من رجل دمر حياتي ..."[3] وهذا مايطلق عليه " تسمية الحوار التناوبي أي الذي تتناوب فيه شخصيتان أو أكثر بطريقه مباشره إذن التناوب هو السمة الإحداثية الظاهرة عليه وتربط المتحاورين وحدة الحدث والموقف إذ يعد هذا الحوار عاملا أساسيا في دفع العناصر السردية إلى الأمام إذ يرتبط وجوده بالبناء الداخلي للعمل الروائي معطيا له تماسكا ومرونة واستمرارية "[4].

1- صبحي فحماوي ،صديقتي اليهودية ،ص61.

2- نبيل راغب ، موسوعة الإبداع الأدبي ، مكتبه 2- ناشرون ، ط 1 ، لبنان ، 1996 ،ص 141 .

3- مصدر سابق ، صبحي فحماوي ،صديقتي اليهودية ،ص87,86.

4- فاتح عبد السلام ، الحوار القصصي تقنياته وعلاقاته السردية ، دار الفارس للنشر والتوزيع، ط 1، عمان، 1999، ص 41 - 42 .

"الحوار قرين السرد يلجأ إليه الروائي لإضفاء جانب من الحركية والفاعلية على طريقة سرد الأحداث وعرضها، وإذا كان السرد يحمل جانبا من الرتابة واستقصاء التفاصيل وتتابع الأحداث وتسلسلها فإن الحوار تقنيه يعمد إليها الروائي لكسر تلك الرتابة وإعطاء الشخوص دورا كبيرا في الكشف عن نفسها وموقفها من الأحداث"[1] وتظهر هذه الأخيرة في سرد حيثيات رحلته ومغامراته فيقول " خرجت من الفندق على الساعة الخامسة من فجر اليوم السادس.. كانت الدنيا معتمة ، وحركة الشوارع شبه معدومة .. وصلت إلى محطة استقبال المسافرين .. استلمت المضيفة تذكرتي .. قرأت المعلومات والشروط ، فقالت مندهشة : "هذه التذكرة غير قابلة لتعديل موعدها .. لن تستطيع السفر إلا يوم 8 حيزران ."" والحل ؟" أقول لها مرتعبا ، وأنا أراقب تصرفاتها بينما أقلب يدي داخل بعضهما ، وأعتصرهما ببعضهما البعض ."[2] فيخلق لدى القارئ نوع من التفاعل والتعاطف ويبدأ بوضع احتمالات لحل بعض المشاكل وكذا قرارات لبعض المواقف ، وهذا هو دور السرد داخل الحوار .

فالحوار حسب احمد أمين " إذا ما أدى في الرواية أداء جيدا فهو أمتع عناصر الرواية وهو الجزء الذي يقترب أشد الاقتراب من الناس ويزيد من حيوية الرواية المكتوبة وله قيمة عظمى أيضا في عرض الانفعالات والدوافع والعواطف ."[3] وهذا ما جعل الحوار ممتعا في رواية "صديقتي اليهودية" .

1- محمد زكي أبو حميدة ، تقنيات السرد الروائي في رواية ربي حار سحر خليفة ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة الأزهر، غزة 2010 ،ص25.

2- صبحي فحماوي ،صديقتي اليهودية ،ص34,33.

3- احمد أمين ، النقد الأدبي ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ،القاهرة، 2012، ص 112 .

3 ـ الزمـكانــية :

لقد أخذ البعد الزمكاني حصة الأسد في رواية " صديقتي اليهودية " ، حيث كانت كل أحداث الرواية ممثلة ومذكورة بأدق تفاصيل زمانها ومكانها ،كيف لا والرواية تحكي يوميات رحلة سياحية أثقلتها الأحداث والمفاجآت ، وأدهشتها المناظر والمنشآت ، وتسارعت فيها والمواقف والقرارات ، فكان التركيز على الزمان والمكان له طعم خاص في الرواية لأن " الزمن من أهم التقنيات الأساسية في بناء الرواية حيث أنه يمثل في الاصطلاح السردي مجموعة العلاقات الزمنية :السرعة التتابع البعد ... بين المواقف والمواقع المحكية وعملية الحكي الخاصة بهما وبين الزمان و الخطاب المسرود والعملية السردية وعليه فالزمن في الرواية هو تلك المدة التي تشهد وقوع الأحداث فيها"[1] ويتمثل ذلك عند قوله: "وأخيرا وصلنا إلى **روتردام** .هكذا قالت الدليلة .. الساعة تشير إلى حوالي الثامنة مساءً .. ننزل هذه الليلة في فندق جميل مطل على الميناء ، من فئة أربعة نجوم ." فيُحدث هذا الوصف للمكان والتدقيق في الزمان تناغم القارئ مع الأحداث فيشعر بأنه هو من سيحمل الحقائب إلى داخل الفندق .

"إن لـكل رواية نـمطها الزمني الخاص باعتبار الزمن محور البنية الـروائية وجوهر تـشكـيلـها ،كما أن طريقة بناء الزمن في النص الروائي تكشف تشكيل بنية النص، والتقنيات المستخدمة فيه والتقنيات المستخدمة في البناء، وبالتالي يرتبط شكل النص الروائي ارتباطا وثيقا بمعالجة عنصر الزمن"[2]

" فالزمن يحدد إلى حد بعيد طبيعة الرواية ويشكلها بل إن شكل الرواية يرتبط ارتباطا وثيقا بمعالجة عنصر الزمن فهو بذلك بمثابة الهيكل الذي تشيد فوقه الرواية "[3]

1- جيرالد برنس ،المصطلح السردي ،تر:عابد خزندار،المجلس الأعلى للثقافة ،ط1، 2003،ص231 .

2- مها حسن القصراوي ، الزمن في الرواية العربية ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،ط1 ،بيروت ،2004،ص36-37.

3- سيزا قاسم ، بناء الرواية ،مكتبة المسرة ،القاهرة ،1978، ص38.

" يختلف تجسيد المكان في الرواية عن تجسيد الزمن حيث أن المكان يمثل الخلفية التي تقع فيها أحداث الرواية أما الزمن فيتمثل في هذه الأحداث نفسها وتطورها، وإذا كان الزمن يمثل الخط الذي تسير عليه الاحداث فان المكان يظهر على هذا الخط ويصاحبه ويحتويه فهو الإطار الذي تقع فيه الأحداث " [1] فمثلا قوله :" نتجه نحو مزارع **بوسكوب** ، حيت الطريق الأخضر ،والسهول واسعة شاسعة مصبوغة موارسها بالألوان.. "[2] فنراه كما في كل مرة يحدد المكان ثم يصفه وصفا إبداعيا يضمن به غوص القارئ في أعماق المكان .

" إن تشخيص المكان في الرواية هو الذي يجعل من أحداثها بالنسبة للقارئ شيئا محتمل الوقوع ،بمعنى يوهم بواقعيتها، وطبيعي أن أي حدث لا يمكن أن يتصور وقوعه إلا ضمن إطار مكاني معين لذلك فالروائي دائم الحاجة إلى التأطير المكاني ،ويؤكد ذلك ـ شارل غريفل ـ حيث يرى: أن المكان هو الذي يكتب القصة قبل أن تسطرها يد المؤلف "[3]

" فذكر المكان في النص الروائي يتجاوز كونه مجرد شيء صامت أو خلفيه تقع عليها أحداث الرواية فهو عنصر غالب فيها حامل للدلالة ، و يمثل محورا أساسيا من المحاور التي تدور حولها عناصر الرواية ، لذا يرى البعض أن العمل الأدبي حين يفتقد المكانية فهو يفتقد خصوصيته وبالتالي أصالته "[4] فكان الراوي لا يمر على مكان إلا وذكر اسمه كما هو مكتوب على الألواح التعليمات، بالإضافة إلى الوقوف على تلك المعالم الأثرية والرموز الدينية والحضارية التي تحمل دلالات عميقة .

1- سيزا قاسم ، بناء الرواية ،مكتبة المسرة ،القاهرة ،1978، ص106.

2- صبحي فحماوي ، صديقتي اليهودية ، ص 124.

3- حميد حميداني ، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي ،المركز الثقافي العربي ، ط1 ،بيروت ،ص65 .

4 ـ غاستون باشلار ،جماليات المكان ، تر: غالب هلسا ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ،ط3 ،بيروت ،1987 ، ص65 .

إن " المكان والزمان عنصران متلازمان لا يفترقان، فإن المكان ثابت على عكس الزمان المتحرك، وهو في ثبوته واحتوائه للأشياء الحسية المستقرة فيه يُدرك بالحواس إدراكا مباشرا، ذلك أن المكان صورة أوليه ترجع إلى الحساسية الظاهرة التي تشمل حواسنا الخمس وعلى عكس الزمان الذي يدركه الإنسان إدراكا غير مباشر من خلال فعله فيه "[1] فمن خلال الزمكانية نستطيع تحديد الواقع الذي تدور فيه الرواية ، وهذا التحديد هو مفتاح لخيال القارئ الذي يشعره بالاستمتاع والتذوق بين عنصري الزمان والمكان ،اللذان وظفا في الرواية بشكل عام ،بهدف التحسيس بأهمية هذين الأخيرين ،اللذان هما جزء من ماضينا وحاضرنا ومستقبلنا .

1- يوسف كرم ،تاريخ الفلسفة الحديثة .دار المعارف ،ط5 ،القاهرة ،1986، ص222.

4 - الانـــزيـــاح :

"استمد مصطلح الانزياح من السوسيولوجيا وشاع في الكتابات الحديثة "[1] ويكاد الإجماع أن يكون مفهوم "الانزياح هو خروج عن المألوف أو ما يقتضيه الظاهر ، أو هو خروج عن المعيار لغرض قصد إليه المتكلم أو جاء عفو الخاطر ، لكنه يخدم النص بصورة أو بأخرى بدرجات متفاوتة "[2] حين نقرأ "الحافلة تسير فنطارد بها الدنيا ،وكأننا نحمل شعلة الأولمب ونطير بها ، فترتطم نظراتنا بالإشارات المرورية على الجسور الإعلامية المعلقة في سماء الشوارع "[3] فنلاحظ مجازا لغويا غاية في الروعة في وصف عالم لند المدهش، في قوله " الحافلة تسير فنطارد بها الدنيا" وأيضا قوله : "على الجسور الإعلامية المعلقة في سماء الشوارع " ،حيث تداخلا فريدا بين التشبيه والاستعارة ، ما يجعل القارئ يستمتع و يحلق في فضاء الرواية، يطارد فيها القطار القطار والدنيا معا .

"فالانزياح إذن جاء لإخراج اللغة من دائرة المعاني المعجمية الضيقة والمعيارية المحددة إلى دائرة النشاط الإنساني الحي "[4] وهذا ما ميز لغة الكاتب في قوله :" ويبنون عليها مستعمرات يهودية جديدة برؤوسها المصبوغة بقرميد أحمر يقطر دما من رأس كل عمارة مشيدة على الطراز الفلسطيني الحجري التقليدي "[5] فيصور هنا مشهدا من مشاهد طمس الهوية الذي

1- سعيد علوش ، معجم المصلحات الأدبية المعاصرة ،دار الكتاب اللبناني ، ط1، بيروت ، ص 66.

2- يوسف أبو العدوس ، الأسلوبية الرؤية والتطبيق ، دار المسيرة ، عمان ، ط1 ،2007، ص180 .

3- مصدر سابق ،صبحي فحماوي ، صديقتي اليهودية ،ص61 .

4- المصر السابق ،عبد السلام المسدي ،الأسلوبية والأسلوب، ص96 .

5- مصدر سابق ،صبحي فحماوي ، صديقتي اليهودية ،ص،30 .

يمارسه المستعمر اللعين في قوله : برؤوسها المصبوغة بقرميد أحمر يقطر دما من رأس كل عمارة مشيدة على الطراز الفلسطيني الحجري التقليدي" فالانزياح هو الحدث الألسني الذي يعرفه ـ جاكبسون ـ "بأنه تركيب عمليتين متواليتين في الزمن ومتطابقتين في الوظيفة وهما اختيار المتكلم لأدواته التعبيرية من الرصيد المعجمي للغة تركيبه لها تركيبا تقتضي بعضه قوانين النحو وتسمح ببعضه الآخر سبل التصرف في الاستعمال "[1] كمأ في قوله أيضا : وهي الشقراء المشوية البشرة ،كرغيف خبز مقمر يخرج منتفخة أوداجه من فوهة الفرن.

" لا ينبغي أن ننظر إلى تلك الإنزياحات على أنها رخص شعرية وابتداع فردي ، وإنما هي في الواقع نتاج براعة استخدام المادة اللغوية المتوفرة وتوظيفها الذكي للإمكانات الكامنة في اللغة "[2]

فقد أظهر الكاتب مهارته اللغوية ورصيده المعجمي ،من خلال استخدامه للكلمات والمرادفات بكل حرية ، يمزج فيها الغريب مع المألوف ، والجماد بالمتحرك ، فينتج لنا " ظاهرة الانزياح ذات أبعاد دلالية وإيحائية تثير الدهشة والمفاجأة ، ولذلك يصبح حضوره في النص قادرا على جعل لغته متوهجة ومثيرة تستطيع أن تمارس سلطة عل القارئ من خلال عنصر المفاجأة والغرابة "[3]

1- المصدر سابق، الأسلوبية الرؤية والتطبيق ، ص184 .

2 ـ عيد رجاء ، البحث الأسلوبي معاصرة وتراث ، منشأة المعارف ، الاسكندرية ، 1993 ،148 .

3- موسى سامح ربابعة ، الأسلوبية مفاهيمها وتجلياتها ، دار الكندي ، ط1 ، الكويت ، 2003 ، ص58.

5- توظيف التراث :

عندما نتحدث عن توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة نعود إلى أصلها فلقد جاءت

" كلمة التراث من الجذر اللغوي (ورث)، وقد قلبت والواو تاءً ، وتعني كلمة (تراث)؛ ما يتركه الإنسان بعد موته من ماديات ومعنويات ،واتسع معناها المجازي إلى الأشياء الأخرى مثل المطر والحزن والمرض وهذا ما يسميه الناس اليوم الميراث "[1] ففي رواية "صديقتي اليهودية " كان التراث حاضرا بقوة ،ذلك لأن الرواية في حد ذاتها تتحدث عن قضية مركزية حضارية دينية ضاربة في عمق التاريخ ،ألا وهي القضية الفلسطينية .

و قد نظر محمد عابد الجابري للتراث على أنه " الجانب الفكري في الحضارة العربية الإسلامية العقيدة والشريعة ،اللغة والأدب، الفن، والكلام، والفلسفة، والتصوف ."[2] وهذا ما أبدع الكاتب في توظيفه في الرواية ،حيث دافع في حواراته عن المبادئ والقيم ، ورسّخ للفكر الإسلامي والحضارة العربية في كل أنحاء الرواية .

وقدم الدكتور جبور عبد النور تعريفا أشمل وأوسع من ذلك فقال:

" هو ما تراكم خلال الأزمنة من تقاليد وعادات وتجارب، وخبرات، وفنون ،وعلوم، في شعب من الشعوب وهو جزء أساسي من قوامه الاجتماعي، والإنساني والسياسي والتاريخي يوثق التي عملت على تكوين هذا التراث علائقه بالأجيال الغابر."[3]

1- سمير الجندي ،الرواية الفلسطينية والتراث (روايات ديمة السمان أنموذجا)،در الجندي للنشر والتوزيع ،القدس،ط1 ،2011، ص16,15.

2- محمد عابد الجابري، التراث والحداثة دراسات ومناقشات ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ط1 ، بيروت ،1991 ،ص45.

3- جبور عبد النور ، المعجم الأدبي ، دار العلم للملايين ، ط1 ،بيروت 1989، ص63 .

فيتحدث الكاتب في الرواية عن قضية الصراع عن الأرض والهوية فيقول "يدعون أن فلسطين أرض بل شعب ، وأنهم شعب بلا أرض،فلماذا لا تكون لهم .. ويقولون إن كل شيء يضعون أيديهم عليه هو لهم !" [1]

"على الرغم من حب الإنسان الشديد للماضي بكل ما فيه من تفاصيل وخيرات فالماضي ملك التاريخ والتاريخ حافظه حين يصبح بأحداث وشخصيات ماده للرواية فانه يصير بعثا كاملا للماضي يرتبط فيه فيها الحاضر بالماضي الخالد لرؤية فنيه شامله فالروائي استلهامه تاريخ يعيد ترتيب الأشياء وتوزيع الأدوار كما يريد صيلا لرؤيته التي يقيم بنائها في معماره الروائي الجديد وعليه فان التاريخ ليس بضاعة تستورد وإنما هو فيض غزير متجدد أخذ وعطاء تصنعه الأمم والشعوب " [2] " وصلت إلى الهايد بارك إلى شاب فلسطيني يصيح بسماعته ، شارحا دور بريطانيا في طرد اليهود الذين قدموا من بلاد الخزر فانتشروا في أوروبا، وكيف نقلهم بطريقة مسرحية تراجيدية ميلودرامية إلى فلسطين "[3] ، يتحدث هنا عن الكيفية التي دخل بها اليهود إلى فلسطين ، وكيف يعملون على طمس الحقائق وخلق تاريخ جديد ،فكان لزاما علينا كشف الحقيقة ومسح الغبار عن حضارتنا ، والدفاع عن هويتنا وتمجيد تراثنا بكل أنواعه. " فالتراث هو روح الأمة التي يسري في كيانها عبر العصور ،إنه الدعامة الأساسية والركيزة الثابتة التي تميز ملامح الأمة عن سواها ... لا يجوز أن نقف بالتراث عند حد زمني أو مكان

1- صبحي فحماوي، صديقتي اليهودية ،ص53.

2- لكلوكة أسماء،محرم هدي ،استدعاء التراث في رواية " شبح الكليدوني "لمحمد مفالح .رسالة ماجستير،جامعة واد سوف ، الجزائر ،2018،ص40,39.

3- مصدر سابق :صبحي فحماوي ، الصفحة نفسها.

محددين ،وإنما يمتد ويشمل على كل ما عبر عن شعورنا ونبع من ذاتنا وترعرع على أرضنا، وبالتالي فالتراث هو موروثنا الحضاري لغة وأدبا وعلما وفلسفة ودينا وسياسة واجتماعا."[1]

فلم يترك الكاتب نوعا من أنواع التراث إلا وذكره ،فيقول في التراث الشعري العربي "كان شاعرنا العتيد أبوالعلاء المعري يضحكني وهو يقف بين تظلمات المتحدثين في الساحة وهم يتصايحون مثل الديكة، من دون أن يرى شيئا، وهو ينشد شعره:

" هذا بناقوس يدق وذا بمئذنة يصيح."

" ويقول امرء القيس في هذا الصدد :

وبيضة خدر لا يرام خباؤها تمتعتُ من لهو بها غير معجل ." [2]

فيستحضر هذا التراث ليعبر عن الفوضى التي تعم العالم المتكالب على هويتنا ."ولا سيما ما يتصل بالمرجعيات الأساسية في الثقافة العربية "[3] والحضارة الإسلامية العريقة وأمجادها الضائعة .

وكان "جمال قاسم " قد ضرب " ليائيل" أمثلة أخرى من التاريخ ليؤكد لها بأنه لاشيء سيبقى على حاله . فيستحضر لها قول ماركس وانجلز القائل : " (إن الشيوعية هي آخر مراحل التاريخ.) وها هي الشيوعية تنهار، وتعود الرأس مالية من جديد .لتكون متوحشة أشرس مما كانت عليه في السابق .. ياصديقتي ،لايوجد شيء اسمه آخر مراحل التاريخ فالتاريخ دائم

1- الزبيدي الهادي ،تراثنا العربي وأبعاده ،مجلة جذور تونسيه، العدد 12 ، مارس 2003، ص 64 - 65.

2- مصدر سابق :صبحي فحماوي ،صديقتي اليهودية ،ص101,61.

3- معجب العدواني ، الموروث وصناعة الرواية ، منشورات ضفاف ،ط1 ، بيروت ، 2013 ،ص 16.

الحركة مثل دوران الكرة الأرضية ."[1] يوضح لها ويؤكد بطريقة غير مباشرة بأن دوام الحال المحال ، وأن شمس الحق ستشرق مهما طال الزمن .

إن للعتبات الخارجية والداخلية أهمية كبيرة ،فهي تحدد قيمة النص الأدبي ، فكلما كانت العتبات مدروسة بشكل جدي دليل على أن الكاتب مهتم بالقارئ أكثر، وهذا الاهتمام هو سبب نجاح ذلك العمل الأدبي .

.

1- مصدر سابق :صبحي فحماوي ،صديقتي اليهودية ،ص65،

الخاتمة

إن الخطاب الساخر والمتهكم أصبح سائدا في جميع المواضيع الأدبية و الاجتماعية والسياسية ، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على الطاقة الدلالية الكامنة في عمق السخرية ، وهذا ما يجعلنا نلخص بعض النقاط على النحو الآتي :

ـ أن السخرية سلاح فعّال لتوجيه النقد خصوصا ضد السلطة سواء الاجتماعية أو السياسية أو الدينية.

ـ السخرية تفيد في تخفيف ثقل وصعوبة هذا الواقع بطريقة بسيطة .

ـ تعتبر أداة للتغيير فهي تؤثر بشكل كبير في الرأي العام وتستميل الجمهور بذكاء.

ـ تحقّق السخرية المتعة لدى المتلقي وتساعد الساخر في الوصول إلى مراده .

ـ تستعمل السخرية لتحقير الخصوم فتتحول إلى تهكم،فيكون هناك ذم وتجريح ما يستدعي حذرا كبيرا عند الاستعمال.

إن هذه الدراسة كشفت لنا قيمة السخرية في عالم الأدب ، كما وضحت لنا الطرق الصحيحة لتوظيف السخرية بغض النظر إلى الزمان أو المكان أو المناسبة ، فيجب أن تحافظ على سموها حتى تكون سخرية ناجحة ، فالسخرية كالثمار الناضجة ،تسقط من تلقاء نفسها لكن لا تسقط في الفم .

في الأخير نحمد الله على فضله ومنه إذ وفقنا لإكمال هذا البحث ، أرقى عبارات التقدير للجميع والله ولي التوفيق .

قائمة

المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع :

- القرآن الكريم برواية ورش عن نافع .

1. دي سي ميوميك،موسوعة المصطلح النقدي، المفارقة وصفاتها، تر،عبد الواحد لؤلؤة ،المؤسسة العربية لدراسات والنشر، بيروت، مج 4،ط1.
2. ا بن منظور، اعتنى به، د. خالد رشيد القاضي، لسان العرب، دار الأبحاث ط1.
3. الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، ترتيب وتحقيق د. عبد الحميد هنراوي دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، جزء 2.
4. نزار عبد الله خليل الضمور، السخرية والفكاهة في النثر العباسي، دار وكتبة حامد للنشر والتوزيع، الأردن، ط1.
5. الإمامين الجليلين، تفسير الجلالين، دار السلام للنشر والتوزيع ،الرياض. ط1.
6. عزت السيد أحمد، التهكم وفن الإضحاك عند الجاحظ، العالم العربي للنشر، عمان، ط1.
7. مجد الدين بن يعقوب الفيروزي أبادي الشيرازي، القاموس المحيط المطبعة الأميرية، ط3.
8. ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، كورنيش النيل، مج 51 .
9. سها عبد الستار السطوحي، السخرية في الأدب العربي "عبد العزيز البشرى نموذجا"، الهيئة المصرية العامة للكتب .
10. نعمان محمد امين طه ،السخرية في الأدب العربي ، دار التوفيق لطباعة بالأزهر.
11. ابن الرومي ، ديوانه ، شرح احمد حسن يسبح ،دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ،ج3 ، ط1.

12. محمد التونجي، المعجم المفصل في الأدب، الجزء الأول، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.

13. ابن منظور ، لسان العرب ،تح،عبد الله علي الكبير،دار المعارف، القاهرة ،ج5.

14. نعمان عبد السميع متولي ، المفارقة اللغوية في الدراسات الغربية والتراث العربي القديم ، دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع ، ط1 ، دسوق .

15. محمد العبد: المفارقة القرآنية، دراسة في بنية الدلالة، مكتبة الآداب، القاهرة، ط 2.

16. ينظر، وفاء مناصري ، الشعر و التمثيل ، أحمد مطر، أنموذجا ، دار القدس العربي ، وهران،الجزائر، ط 01.

17. ينظر: سليمان خالد، المفارقة والأدب، دراسات في النظرية والتطبيق،دار الشروق، عمان، الأردن، ط01.

18. ينظر ،الهام شادر ،النزعة الفكاهية الساخرة ،مجلة الأثر ،جامعة باجي مختار عنابة . العدد 30.

19. مصطفى الشادلي ،الهزل والسخرية في التراث الشفاهي ، الرباط، ط1 .

20. عبد الحليم محمد حسين ، السخرية في أدب الجاحظ ،الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان ، ط1 .

21. صبحي فحماوي ، صديقتي اليهودية ،المؤسسة العربية للنشر والتوزيع، بيروت، ط 01.

22. ملاذ ناطق علوان ، المفارقة في الشعر الجاهلي (رسالة ماجستير)، كلية التربية للبنات، جامعة بغداد.

23. محمد العبد،المفارقة القرآنية، دراسة في بنية الدلالة، مكتبة الآداب، القاهرة، ط 2 .

24. غالب هلسا، نقد الأدب الصهيوني (الحروب الصليبية)، مؤسسة الانتشار العربي، ط1 ،بيروت .

25. أحمد داود عبد الله خليفة ،المفارقة في قصص زكرياء تامر،رسالة دكتورا ،كلية الدراسات العليا،جامعة الأردن.

26. براهيم نصر الله ، سحر النص (من أجنحة الشعر إلى أفق السرد) ، تق: محمد صابر عبيد ، قراءات في المدونة الإبداعية ، دار الفارس ، الأردن ، ط 1 .

27. عبد الحق بلعابد،عتبات (جيرار جينيت من النص إلى المناص)،الدار العربية للعلوم ناشرون،ط1،بيروت .

28. أمل أحمد عبد اللطيف ،عتية العنوان في رواية إلياس خوري"يالو"، منتديات حلم الباحث.

29. عبد المجيد الحسيب ، الرواية العربية الجديدة (إشكالية اللغة)، عالم الكتب الحديث ،ط1 ، الأردن.

30. محمد فكري الجزار، العنوان وسيموطيقا الاتصال الأدبي ،المصرية العامة للكتاب الأدبي،مصر .

31. خالد حسين حسين ، في نظرية العنوان (مغامرة تأويلية في شؤون العتبة النصية)، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، ط1 .

32. محمد بلوافي ، قراءة في غلاف الرواية ،موقع ديوان العرب .

33. موزة آل علي ،عتبات الإبداع التي تأخذ بيد الجمهور للعالم المسحور، صحيفة الاتحاد ، الإمارات.

34. أحمد مختار ، اللغة واللون ،عالم الكتب للنشرو التوزيع، القاهرة، ط2 .

35. سعيد بنكراد ،السيميائية مفاهيمها وتطبيقاتها ، دار الحوار للنشر والتوزيع ،سوريا، ط3.

36. المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،ويكيبيديا الموسوعة الحرة ، http://www.wikipedia.com.

37. عثمان ابن جني ، الخصائص ، دار الكتب المصرية ، ط2 ، مصر ، ج 1 .

38. ـ عبد الرحمان ابن خلدون ، المقدمة، تحقيق عبد السلام الشدادي ، خزانة ابن خلدون بين الفنون والعلوم و الأدب، ط1 ، الدار البيضاء، ج 3 .

39. سليمان بن ناصر الطيار ،التفسير اللغوي للقرآن الكريم ، دار ابن الجوزي .

40. عبد السلام المسدي ،الأسلوبية والأسلوب، الدار العربية للكتاب ، ط 3 .

41. ابراهيم الشيخ ،مواقف اجتماعية وسياسية في أدب نجيب محفوظ .مكتبة الشروق ،ط3 ،القاهرة .

42. أحمد يوسف ، السيميائيات الواصفة (المنطق السيميائي وجبر العلامات)، المركز الثقافي العربي ،ط1، بيروت .

43. كوين جون ، بناء لغة الشعر ،تر: أحمد درويش ،مكتبة الزهراء ، القاهرة .

44. ـ محمد العيد تاورته ، تقنيات اللغة في مجال الرواية الأدبية ،مجلة العلوم الانسانية .

45. جبور عبد النور ،المعجم الأدبي، دار العلم للملايين ،ط2 ، بيروت .

46. نجم عبد الله كاظم ،مشكلة الحوار في الرواية العربية، منشورات اتحاد وكتاب وأدباء الإمارات ،ط 1، الشارقة.

47. 2ـ ناشرون ، ط 1 ، لبنان . موسوعة الإبداع الأدبي ، مكتبه ، نبيل راغب

48. فاتح عبد السلام ، الحوار القصصي تقنياته وعلاقاته السردية ، دار الفارس للنشر والتوزيع، ط 1، عمان.

49. محمد زكي أبو حميدة ، تقنيات السرد الروائي في رواية ربي حار سحر خليفة ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة الأزهر، غزة.

50. احمد أمين ، النقد الأدبي ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ،القاهرة.

51. جيرالد برنس ،المصطلح السردي ،تر:عابد خزندار،المجلس الأعلى للثقافة ،ط1.

52. مها حسن القصراوي ، الزمن في الرواية العربية ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،ط1 ،بيروت .

53. سيزا قاسم ، بناء الرواية ،مكتبة المسرة ،القاهرة .

54. حميد حميداني ، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي ،المركز الثقافي العربي ، ط1 ،بيروت.

55. غاستون باشلار ،جماليات المكان ، تر: غالب هلسا ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ،ط3 ،بيروت .

56. يوسف كرم ،تاريخ الفلسفة الحديثة .دار المعارف ،ط5 ،القاهرة .

57. سعيد علوش ، معجم المصلحات الأدبية المعاصرة ،دار الكتاب اللبناني ، ط1، بيروت .

58. يوسف أبو العدوس ، الأسلوبية الرؤية والتطبيق ، دار المسيرة ، عمان ، ط1.

59. عيد رجاء ، البحث الأسلوبي معاصرة وتراث ، منشأة المعارف ، الاسكندرية .

60. موسى سامح ربابعة ، الأسلوبية مفاهيمها وتجلياتها ، دار الكندي ، ط1 ، الكويت .

61. سمير الجندي ،الرواية الفلسطينية والتراث (روايات ديمة السمان أنموذجا)،در الجندي للنشر والتوزيع ،القدس،ط1.

62. محمد عابد الجابري، التراث والحداثة دراسات ومناقشات ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ط1 ، بيروت .

63. لكلوكة أسماء،محرم هدي ،استدعاء التراث في رواية " شبح الكليدوني "لمحمد مفالح .رسالة ماجستير،جامعة واد سوف ، الجزائر.

64. الزبيدي الهادي ،تراثنا العربي وأبعاده ،مجلة جذور تونسيه، العدد 12 ، مارس 2003.

65. معجب العدواني ، الموروث وصناعة الرواية ، منشورات ضفاف ،ط1 ، بيروت .

فهرس الموضوعات

فـهرس الموضوعات

مـــقدمــة.....أ- ج

الفصل الأول : المفارقة والسخرية.....4

المبحث الأول : مفاهيم عامة للسخرية والتهكم.....4

المطلب الأول : مفهوم عام للسخرية 4

- مفهوم السخرية لغة 5

- مفهوم السخرية اصطلاحا.....5

المطلب الثاني : مفهوم عام للتهكم.....5

- مفهوم التهكم لغة:.....6

- مفهوم التهكم اصطلاحا :..... 7

المبحث الثاني : أنواع وصورالسخرية.....8

المطلب الأول :أنواع السخرية 9

- المزاح أو الهزل 9

- الفكاهة و التندر 10

- اللذع والتهكم 10

المطلب الثاني : صور السخرية..... 11

- السخرية بالمحاكاة 11

- 'المناداة بالألقاب.....11

- السخرية بالصوة.....12

- مّعالجة الحقير كأنه عظيم.....12

- مّعالجة الشيء العظيم كأنه حقير.....12

- تّجاهل العارف أو التباله.....12

- التعريض 13

- التصوير المبالغ فيه (الكاريكاتوري).....13

المطلب الثالث :أساليب السخرية..... 14
- اللعب بالمعاني 14
أ - الكـــنايـــة 14
ب - التوريـــة 14
جـ-"التعريض 15
د - الإجابة بغير المطلوب 15
- اللعب بالألفاظ..... 15
المبحث الثالث : المفارقة الساخرة.....17
المطلب الأول :مفهوم المفارقة..... 17
أ - المـــفـــــارقة لغة 18
ب - المفارقة اصطلاحا 18
المطلب الثاني : أنواع المفارقة.....21
أ - المفارقة اللفظية 22
ب - مفارقة الموقف 22
المطلب الثالث : علاقة السخرية بالمفارقة..... 25
- ملخص الفص الأول 26
الفـــصل الثاني : أشكال السخرية والتهكم وأثرها في تجسيد القضية الفلسطينية.....28
المبحث الأول : دلالات المفارقة الساخرة في رواية "صديقتي اليهودية " 28
المطلب الأول : المفارقات في الرواية 29
- مفارقة السخرية والتهكم : 29
- المفارقة المأساوية الساخرة :..... 33
- مـفارقـة الـموقـف:..... 36
- المفارقة اللفظية الساخرة :..... 37
المبحث الثـــاني : دلالات العتبات الأولية لرواية " صديقتي اليهودية "..... 39

المطلب الأول : عتبات أولية خارجية 39
- العنوان :..... 39
- الغـــــــلاف..... 42
- الصورة والألوان..... 44
- الـكـــاتب:..... 46
- دار الـنشــر..... 47
المطلب الثاني : عتبات أولية داخلية..... 48.
- الـلغـــة..... 48
- الـحوارات 51
- الزمكـانية 54
- الانـــزيـــاح 57
- توظيف التراث..... 59
ملخص الفصل الثاني 62
الخاتمة 64